

منهج تفسير القرآن الكريم



أ.د. حكمت بن بشير ياسين

الأستاذ بكلية القرآن الكريم
والدراسات الإسلامية بالمدينة المنورة

الطبعة الأولى

دار الحضارة للنشر والتوزيع

منهج تدبر القرآن الكريم

تأليف

أ. د. حكمت بن بشير ياسين
الأستاذ بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ

دار الحضارة للنشر والتوزيع

دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ

ح

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ياسين، حكمت بشير

منهج تدبر القرآن الكريم/ حكمت بشير ياسين، الرياض، ١٤٢٥هـ

١٠٤ ص ٢٤: سم

ردمك: ٩٩٦٠-٩٥٠٦-٠-٣

١- القرآن - مباحث عامة ٢- القرآن - أحكام أ- العنوان

ديوي ٢٣٩ ١٤٢٥/٣٦٩

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٦٩

ردمك: ٩٩٦٠-٩٥٠٦-٠-٣

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ص.ب. ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥

هاتف: ٢٤٩٥٨٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الحكيم، الذي أنزل القرآن العظيم؛ لتدبر آياته، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، الذي أجزل علينا قواعد التدبر؛ لنقتدي بسنته، وعلى من أخذ بحكمته وآدابه.

أما بعد:

فقد أكرمنا الله تعالى بإنزال القرآن الحكيم؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وجعله موعظة ومباركاً وهداية وشفاء لما في الصدور، ووصفه سبحانه وتعالى بالكريم، وأقسم بقسم عظيم على ذلك: ﴿قُلْ أَقْسِمُ بِمَوْعِدِ النَّجُومِ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٧﴾ إِنَّهُمْ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾^(١)، وأمرنا - سبحانه وتعالى - أن نتأمل آلائه وآياته، وأن نتفكر في ملكوته وجبروته، ونرتشف من رحيق بركاته، كل ذلك من أجل تحقيق الغاية الكبرى، ألا وهي: التدبر لكلام الله عز وجل في القرآن الكريم: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٨٠﴾﴾^(٢)، فبين - سبحانه وتعالى - الغاية من إنزاله.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: «فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته، من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٧٥-٧٧.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٩.

على معاني آياته»^(١) .

أما الذين لم يتدبروه، فقد حرموا أنفسهم هذا الخير العظيم، وقد أنكر الله تعالى على الكفار ووبخهم في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢) .

قال العلامة الألوسي: «وأصل التدبر: التأمل في أدبار الأمور وعواقبها، ثم استعمل في كل تأمل، سواء كان نظراً في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه»^(٣) ، وأنكر عليهم سبحانه أيضاً في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَذَبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٤) ، لقد جاء هذا التقريع: لأنهم لم يتدبروا القرآن الحكيم، ولم يحظوا بنيل شرف هذه الغاية الكبرى، فإن نفوسهم مضطربة، كالريشة في مهب الريح، يعترها النكد والوسوسة بسبب التشبث بمفاتيح الدنيا وملذاتها، التي تغطت على القلوب.

وأما الأمة الإسلامية فعندما نقلت صفحات تاريخها القديم والحديث، نجدها قد حققت هذه الغاية العظمى، وذلك حينما عملت بالمطالب العالية، بتلاوة القرآن الكريم حق تلاوته، وبحفظه وتدبره،

(١) مدارج السالكين، ١/ ٤٥١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٣) روح المعاني، ٥/ ٩٢، وذكره القاسمي أيضاً في محاسن التأويل، ٥/ ٣٢٠.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٦٨.

واستجابت لأحكامه وحكمه، واعتبرت بقصصه، واتعظت بمواعظه،
فعرفت حق الله تعالى، فبوأها حضارة مرموقة، وهيبة بين الأمم، إذ لمع
وميض هذه الحضارة في مكة المكرمة عندما نزل أول القرآن: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ
رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ ۝ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝
الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾ ، ثم امتد إلى المدينة
النبوية، واستمر يتوهج سنا برقها في أنحاء الجزيرة العربية باستمرار التنزيل
والتدبر، والعمل به، إلى أن تم نزول القرآن، الذي كان يتبعه ضروب
التدبر، فإذا بحضارة الجزيرة العربية قد تألقت بين الحضارات، فسطعت
الأنوار فيها، وعمت أرجاءها، حتى خيمت عليها، ثم انبثق منها شعاع
الهداية إلى بقية الحضارات، حتى انضوت تحت لوائها، إذ انبهرت بعهودها
وصفائها، ونعمت ببركات أمنها، وارتقت مراقي عليائها، فانسجمت مع
تواضعها وسلامها بعلمائها وحكامها، فإذا بدولة الخلافة تبسط أياديها
البيضاء، وبركاتها الخضراء إلى أوروبا شمالاً، وأفريقيا غرباً، وبلاد الصين
شرقاً، ترفرف على ربوعها راية القرآن الكريم، الذي هو محور الهداية:
﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ ^(١) .

وقد حافظت على هذه المكانة السامية ما دامت محققة لتلك المطالب
العالية القرآنية، وكلما أخذت بها: ارتقت وقويت، وكلما ابتعدت عنها:
هانت ووهنت.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.

وهكذا، فكل مؤمن يحقق تلك الغاية الكبرى فإن قلبه يحيا بالإيمان والعمل الصالح؛ لأن التدبر للقرآن الكريم يؤثر على القلب، وهو الذي به تحيا وتصلح بقية أعضاء الجسم؛ وهذه الطريقة هي الأمثل للإصلاح جذرياً من المصدر الأساس، وهو القلب، وقد ثبت عن النبي ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهو القلب»، فإذا تأثر القلب بالتدبر، فإنه ينبض بحياة طيبة، ونفس مطمئنة، متوجة بالشكيمة، تحفها السكينة، تسعى إلى إعمار مصيرها في الآخرة، ولا تنسى نصيبها من الدنيا، فتكون من طراز المؤمنين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً، وعلى ربهم يتوكلون، نفوسهم كالجبال الرواسي، لا تزعزعها الشدائد، ولا تزلزها المكائد، تشكر في السراء، وتصبر في الضراء، أفلا نكون من هذا الطراز؟ وكيف نكون؟ الجواب: بالتدبر.

وكيف السبيل إلى التدبر؟

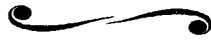
إنه موضوع هذا الكتيب، الذي حاولت فيه الإجابة عن هذا السؤال.

إن التدبر من الأمور الأساسية ذات الأولوية في حياتنا اليومية، إذ هو حوار عظيم فريد ليس له مثل، فهو بين الخالق سبحانه، وعباده من الثقلين: الإنس، والجن، والواسطة في هذا الحوار، هو القرآن العظيم، الذي استوعب خطاب الله تعالى لنا، وما فيه من الهدى إلى أحسن السبل،

في كل ما يهم العبد في عبادته، وفي ارتقائه إلى المكانة السامية في الدنيا والآخرة، في حياة طيبة، وعيشة راضية.

فكم من الأوامر التي تنتظر منا الاستجابة، وكم من النواهي التي تحتاج إلى ازدجار، وكم من الأسئلة تحتاج إلى جواب، وكم من القصص التي هي موعظة للمتعطين لترق القلوب، وكم من الوقائع التي هي عبرة للمعتبرين لتستفيد النفوس، وكم من القلوب التي تحتاج إلى اطمئنان، وسأبدأ بفعل رسول الهدى محمد ﷺ، وذلك من خلال تدبره للقرآن العظيم، تلاوة، وتعليماً، وتأملًا، وعملاً.

ويطيب لي في ختام هذه المقدمة أن أقدم الشكر الجزيل للأخ: محمد ابن عبدالعزيز نصيف - حفظه الله - على جهوده في مراجعة الكتاب جزاه الله تعالى خير الجزاء، والشكر موصول إلى ابنتي أم معاذ وأم الحُباب على قيامهما بصف الكتاب، وإلى من شاركهما كل من أبنائي: أحمد وبشير وعبدالرحمن جزاهم الله تعالى خير الجزاء.



التدبر بالقراءة المفسرة

إن قراءة القرآن يجب أن تكون قراءة صحيحة؛ لأنها المدخل الأمثل للتدبر، فهي مرحلة مهمة أساسية للتدبر، والقراءة الصحيحة لا يمكن أن تتحقق إلا بالتلقي من أفواه الشيوخ المقرئين وقد اعتنى بها النبي ﷺ فقد أكثر من التلاوة، ولو أحصينا ما كان يقرأه في الصلاة المفروضة الجهرية عندما كان يؤم الصحابة - رضي الله عنهم - نجد أنها تبلغ عشرات الألوف من الركعات!! فما بالك بالصلوات النافلة، والعروض الثاقبة، إذ كان يعرض القرآن الكريم على جبريل - عليه الصلاة والسلام - في كل سنة مرة، إلا في السنة التي مات فيها فقد عرض القرآن مرتين، فيكون مجموع العروض أربعاً وعشرين عرضة.

وقراءته كانت بتدبر، ولهذا كانت السورة عندما يرتلها تطول، فقد أخرج مسلم بسنده عن حفصة - رضي الله عنها - قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ صلى في سبخته قاعداً حتى كان قبل وفاته بعام، وكان يصلي في سجده قاعداً، وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها»^(١). وفي ذلك تعليم للتلاوة والتدبر، ورصيد من الثواب الجزيل.

وقد ذكر العلامة ابن عبد الهادي الخلاف في ثواب قراءة الترسل

(١) الصحيح: كتاب صلاة المسافرين، باب جواز النافلة قائماً وقاعداً، ح ٧٣٣.

والسرعة، ثم نقل عن الحافظ ابن رجب في كتابه (الاستغناء بالقرآن):
«الصواب في المسألة أن يقال: ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجل وأرفع
قدراً، وثواب كثرة التلاوة أكثر عدداً، فالأول كمن تصدق بجمهرة عظيمة،
أو أعتق عبداً قيمته نفيسة جداً، والثاني كمن تصدق بعدد كثير من
الدراهم، أو أعتق عدداً من الصبية قيمتهم رخيصة»^(١).

وقراءته ﷺ ساعدت على مزيد من الفهم، ثم العمل، وقد
وصفت أم سلمة - رضي الله عنها - قراءته فقالت: «كانت مفسرة حرفاً
حرفاً»^(٢)، «وأنه كان يقطع قراءته آية آية»^(٣). قال الإمام النحاس:
«ومعنى هذا: الوقف على رؤوس الآيات»^(٤).

وفي رواية عن أم سلمة - رضي الله عنها - : كان رسول الله ﷺ
يقطع قراءته، يقرأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم يقف ﴿الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ﴾ ثم يقف...^(٥).

قال القرطبي: «قال علماؤنا - رحمه الله عليهم - : «قول أم سلمة:

-
- (١) هداية الإنسان إلى الاستغناء بالقرآن، ص ٥٣٣.
(٢) أخرجه الترمذي، السنن، باب ما جاء في كيف كانت قراءة النبي ١٨٢/٥،
ح ٢٩٢٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.
(٣) أخرجه أبو داود، السنن، كتاب الحروف والقراءات، ح ٤٠٠١، وصححه الألباني في
صحيح سنن أبي داود، ح ٣٣٧٩.
(٤) القطع والائتناف، ص ٨٧.
(٥) أخرجه الترمذي، السنن، كتاب أبواب القراءات عن رسول الله ﷺ، ح ٣١٠٧،
وصححه الألباني في صحيح الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٢٣٣٦.

كان يقطع قراءته: يدخل فيه في جميع ما كان يقرؤه - عليه السلام - من القرآن، وإنما ذكرت (فاتحة الكتاب) لتبين صفة التقطيع، أو لأنها أم القرآن، فيغني ذكرها عن ذكر ما بعدها، كما يغني قراءتها، في الصلاة عن قراءة غيرها، لجواز الصلاة بها، وإلا فالتقطيع عام لجميع القراءة، لظاهر الحديث، وتقطيع القراءة آية آية أولى عندنا من تتبع الأغراض والمقاصد والوقوف عند انتهائها، لحديث أم سلمة - رضي الله عنها - ^(١).

فهذه القراءة كان لها الأثر الفاعل في تعليم الصحابة - رضي الله عنهم - علم التفسير، وعلم التدبر.

إن مثل هذه القراءة المؤثرة إذا التقى معها التأمل في مقاصدها، والتفهم لمعانيها - كما سيأتي في مطلب التدبر لمقاصد الآيات - فإنها تمس شغاف القلب، فيخشع ويخضع للخالق سبحانه، الذي يخاطب عباده في هذا القرآن الكريم.

وقد بين الله تعالى أن الغاية من هذه القراءة هداية المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۖ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ^(٢).

وقد أوصى النبي ﷺ بال العناية بالوقف على المعاني، مثل: الوقف عند

(١) التذكار في أفضل الأذكار، ص ١٤٠.

(٢) سورة الطلاق، الآيتان: ١٠-١١.

ذكر آية الرحمة، والوقف عند آية العذاب، فقد أخرج النحاس بسنده من طريق الليث بن سعد، عن محمد بن عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، اقرأوا ولا حرج، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب، ولا تختموا ذكر عذاب برحمة»^(١).

فإذا نظرنا في أسماء السور وتقسيمها وعدد آياتها ووقوفها، نرى أن الأسماء والوقوف وخواتيم الآيات وترقيمها ليس لمعرفة الكمية والعدد والحفظ، أو أخذ النفس لاستئناف القراءة فحسب، وإنما للتفكير والتأمل، لتتأثر القلوب، فتنعم بمزيد إيمان، مما يؤدي إلى إصلاح الجوارح، فيرقى بها إلى مزيد من شعب الإيمان، وكلما زاد من هذا التدبر والتفكير زاد المؤمن من الارتقاء والنقاء.

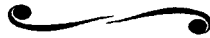
قال النووي: «وقال السيد الجليل إبراهيم الخواص - رضي الله تعالى عنه - : دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء

(١) وذكره النحاس ثم قال: «فهذا بعلم التمام توقيفاً عن رسول الله ﷺ، وسنده صحيح»، القطع والائتناف، ص ٨٩، وأخرجه الطحاوي من طريق الليث به نحوه، مشكل الآثار، ١٨٣/٤، وأخرجه الطبري بنحوه عن عمر بن الخطاب مرفوعاً، وصححه أحمد شاكر، التفسير رقم، ١٦، وأخرجه أبو داود بسنده عن أبي بن كعب مرفوعاً، بنحوه، السنن، الوتر، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح/ ١٤٧٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ح ١٣١٠، وأخرجه الداني عن أبي بكرة نفيح مرفوعاً، وعن أبي مرفوعاً، في باب الحض على تعليم التام، المكتفى في الوقف والابتداء، ص ١٣٠-١٣١.

البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين»^(١).

إضافة إلى ما علمنا النبي ﷺ في تدبر القرآن، فإن الله تعالى علمنا أيضاً عند ذكر آيات العذاب أن نقف عندها؛ لما فيها من ذكر الترهيب، وأن ندعو الله تعالى كما أرشدنا، إذ ذكر من صفات عباد الرحمن بأنهم يدعون الله بأن يصرف عنهم عذاب جهنم كما في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾^(٢) فندعو الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾^(٣).

ويرد هنا إشكال: وهو إن هذه القراءة تأخذ وقتاً طويلاً في مراجعة حفظ القرآن، وأنها تبطئ المراجعة، والجواب: أنه لا مانع أن يراجع حفظ القرآن بالطريقة المختارة، ويجعل قراءة خاصة بالتدبر، غير قراءة مراجعة حفظ القرآن حتى نجتمع بين الفضلين، فكلاهما مطلوب عند الله تعالى ومحبوب.



(١) التبيان، ص ٦٧.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٥.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٥.

الترجيع في القراءة

ومن أسلوبه ﷺ أن يكرر في القراءة، وفي هذا الأسلوب حث على تدبر الآية التي يرددها مراراً، ووقوف على معانيها ومراميها، ويدل هذا التكرار على الاعتناء والاهتمام بها.

أخرج ابن ماجه بسنده من حديث جسة بنت دجاجة قالت: سمعت أبا ذر - رضي الله عنه - يقول: «قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها» والآية: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) (٢).

إن هذا التردد هو آية التدبر وقد فعل ذلك كثير من الصحابة ومن بعدهم رضي الله عنهم أجمعين.

وقد بوب الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام بعنوان: «باب ما يستحب لقارئ القرآن تكرار الآية وتردادها» ثم ساق هذا الحديث، وقال أيضاً: «حدثنا هشيم قال: أخبرنا حصين، عن أبي الضحى، عن تميم الداري - رضي الله عنه - أنه أتى المقام ذات ليلة، فقام يصلي، فافتتح

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٨.

(٢) قال البوصيري في الزوائد: «إسناده صحيح ورجاله ثقات»، السنن، إقامة الصلاة، ح ١٣٥٠، ورواه النسائي في الكبرى، السنن، افتتاح الصلاة، ١٧٧/٢، وأحمد في المسند وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم، وقال: «صحيح»، المستدرک، ٢٤١/١، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ح/ ١١١٠، وصححه الأرناؤوط في تحقيق كتاب: التبيان في آداب حملة القرآن، ص ٦٧.

السورة التي تذكر فيها الجاثية، فلما أتى على هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ
اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ
مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿٦﴾ فلم يزل يرددها حتى
أصبح^(١).

وروى أبو عبيد بسنده أيضاً عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه
كان يردد قوله تعالى: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ حتى أصبح^(٢).

قال السيوطي: «لا بأس بتكرير الآية وترديدها»، ثم ذكر رواية
النسائي عن أبي ذر - رضي الله عنه -^(٣).

وأخرج البخاري بسنده عن عبدالله بن مغفل - رضي الله عنه -
قال: «قرأ النبي ﷺ يوم الفتح، فرجع فيها»^(٤). قال ابن حجر: «فرجع
فيها، أي صوته، أي ردد صوته بالقراءة»^(٥). وقد أورده البخاري في
كتاب التوحيد من عدة طرق بلفظ: «كيف ترجيعه؟ قال: آ آ ثلاث
مرات»^(٦).

قال الزبيدي: «الترجيع في الأذان: هو تكرير الشهادتين جهراً بعد

(١) فضائل القرآن، ص، ٧٩، رقم ١٨٢، الجاثية، ٢١.

(٢) فضائل القرآن، ص، ٨٠.

(٣) الاتقان، ١/١٤١، ط، حلي.

(٤) الفتح، رقم ٤٨٣٥.

(٥) الفتح، ٨/٥٨٤.

(٦) انظر: الفتح، ١٣/٥١٢، ح ٧٥٤.

إخفائها، هكذا فسرهُ الصاغانى، والترجييع أيضاً: ترديد الصوت في الحلق... أي المد» (١).

واعلم أن المد يعطى فترة زمنية أكبر لمزيد من التدبر والتأمل والتأثر، كما ثبت عند النبي ﷺ أنه كان يمد ببسم الله، ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم. وثبت أن قتادة قال: سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال: كان يمد مداً (٢).

وقد تأثر الصحابة - رضي الله عنهم - ومن بعدهم بترديد الآية، فقد أخرج الإمام أحمد في كتاب (الزهد) عن ابن نمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: «دخلت على أسماء بنت أبي بكر وهي تصلي، فسمعتها وهي تقرأ هذه الآية: ﴿فَمَنْ بَلَغَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ فاستعازت، فقمّت وهي تستعيز، فلما طال عليّ، أتيت السوق ثم رجعت، وهي في مكانها تستعيز» (٣).

أي استعازت بالله تعالى من عذاب جهنم.

وروى عبدالرزاق عن سفيان الثوري، عن سعيد بن عبيد الطائي قال: «رأيت سعيد بن جبير وهو يؤمهم في رمضان، يردد هذه الآية: ﴿إِذِ

(١) تاج العروس، ٣٥١/٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، ٢٤١/٦.

(٣) انظر: هداية الإنسان، ص ٥٧١، وسنده ثابت.

الْأَغْلَلُ فِي أَغْنَقِهِمْ^(١)، وَ﴿يَتَأْتِيهَا إِلَّا نَسْنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^(٢) أَلَدَى خَلْقِكَ فَسَوَّلَكَ فَعَدَلَكَ^(٣) ﴿يُرَدِّدُهَا مَرَّتَيْنِ ثَلَاثًا﴾^(٤).

وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام عن يزيد، عن الأصمغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير: «يردد هذه الآية في الصلاة بضعا وعشرين مرة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾^(٥)»^(٦).

وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام والفريابي بسنديهما عن محمد ابن كعب القرظي قال: «لئن أقرأ في ليلتي حتى أصبح ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ و ﴿الْقَارِعَةُ﴾ لا أزيد عليهما، أتردد فيهما، وأفكر، أحب إلي من أن أهد القرآن ليلتي هذا^(٦).

إن هذا التردد لهذه الآيات من هذين التابعين المفسرين له حلاوته وتدبره، وفيها تذكير لهذه النفس بهذا اليوم العصيب، وهو يوم القيامة، فكلاهما كان يتفكر في هذا اليوم، وكلما تكررت التلاوة، فإنها تعطي مزيداً من التأمل والتدبر، ثم زيادة الإيمان بمشيئة الله تعالى، وهكذا نرى كل أولئك الذين رددوا الآيات السابقة في ذكر مصير بني آدم يوم القيامة،

(١) سورة غافر، الآية: ٧١.

(٢) سورة الانفطار، الآيتان: ٦-٧.

(٣) المصنف، ٢/ ٤٩٢، رقم ٤١٩٦، وسنده صحيح.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

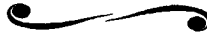
(٥) فضائل القرآن، ص ٦٩.

(٦) فضائل القرآن، لأبي عبيد، ص ٩١، وفضائل القرآن للفريابي، ص ٢٢٢.

إن هذا هو تدبر المصير ومصير التدبر.

وأخرج أبو عبيد أيضاً بسنده عن أبي جهمرة قال: «قلت لابن عباس: إنني سريع القراءة، وإنني أقرأ القرآن في ثلاث، فقال: لئن أقرأ البقرة في ليلة، فأدبرها وأرتلها، أحب إليّ من أقرأ كما يقول»^(١).

قال الإمام النووي: «وكان الضحاك إذا تلا قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾»^(٢) يرددها إلى السحر»^(٣).



(١) فضائل القرآن، ص ٧٤.

(٢) سورة الزمر، آية ١٦.

(٣) التبيان، ص ٦٨.

التدبر لمقاصد الآيات وإيراد ما يناسبها من أذكار

ومن هديه ﷺ في قراءة القرآن الكريم وتدبره: ما ثبت عن حذيفة - رضي الله عنه - كان إذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل، وإذا مرّ بآية عذاب أشفق وتعوذ، وإذا مرّ بآية تنزيه نزه وسبح^(١)، وعن حذيفة قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح سورة النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ، ثم ركع، فجعل يقول: «سبحان ربي العظيم» فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: «سمع الله لمن حمده»، ثم قام طويلاً، قريباً مما ركع، ثم سجد، فقال: «سبحان ربي الأعلى» فكان سجوده قريباً من قيامه^(٢). وهذا من أرقى الأساليب في التمرن على التدبر عند قراءة القرآن الكريم.

إنها قراءة التدبر وتدبر القراءة، قال الإمام البغوي بعد أن ذكر حديث حذيفة مرفوعاً في التدبر: «المستحب للقارئ في الصلاة وغير الصلاة هذا، إذا قرأ آية رحمة أن يسأل، أو آية عذاب أن يتعوذ، أو آية

(١) أخرجه المروزي، بسند صحيح في تعظيم قدر الصلاة، ١/٣٢٧، ح ٣١٥.

(٢) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب استحباب بتطويل القراءة في صلاة الليل، ح ٧٧٢.

تسبيح أن يسبح»^(١). وبنحو هذا القول، قال فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن عبدالفتاح القاري^(٢).

قال الإمام النووي: «قال أصحابنا - رحمهم الله تعالى - ويستحب هذا السؤال والاستعاذة والتسبيح لكل قارئ، سواء كان في الصلاة أو خارجاً عنها. قالوا: ويستحب ذلك في صلاة الإمام والمأموم والمنفرد؛ لأنه دعاء، فاستووا فيه، كالتأمين عقب الفاتحة»^(٣).

وكذلك عند نزول بعض آيات الوعيد والتهديد، فقد كان يتعوذ بوجه الله تعالى، وثبت عن جابر - رضي الله عنه - قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾»^(٤) قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك، قال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾»^(٥) قال: «أعوذ بوجهك»^(٦).

وهذا التعوذ فيه تفسير لخطورة المشهد الذي ترسمه الآية، والتخويف منه.

(١) شرح السنة، ٣/ ١٠٤.

(٢) سنن القراء، ص ١٥٨.

(٣) التبيان، ص ٧٢.

(٤) سورة الأنعام، آية ٦٥.

(٥) سورة الأنعام، آية ٦٥.

(٦) صحيح البخاري (التفسير، سورة الأنعام، باب (قول هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم) ح ٤٦٢٨.

ومن صيغ سؤاله ﷺ أن يقول: «اللهم إني أسألك الفردوس الأعلى».

ويستنبط مما تقدم أن النبي ﷺ كان يقف عند الآية التي فيها ذكر الرحمة، أو الآية التي فيها ذكر العذاب، أو الآية التي يذكر فيها التنزيه، فإنه بعد الوقف يدعو الله تعالى، وكذا في الرواية الثانية، فإن الدعاء بقوله: «أعوذ بوجهك» يدل أنه وقف عند الآية ثم دعا.

وإذا عملنا بهذا الحديث من الوقف والذكر، فسنكون قد تدبرنا مئات الآيات التي ذكرت تنزيه الله تعالى، ومئات الآيات التي كررت ذكر الرحمة، ومئات من الآيات التي أنذرت من العذاب، وبإله من حديث شامل، لكن قلّ من هو به عامل.

وأما كيفية تسبيحه: فمنها ما رواه البخاري بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(١) إلا وكان يقول فيها: سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»^(٢).

ومنه يستنبط: تدبر النبي ﷺ بالتسبيح واستجابته لهذا في قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾^(٣).

(١) سورة النصر، آية ١.

(٢) الصحيح، تفسير سورة النصر، ٧٣٣/٨، ح ٤٩٦٧.

(٣) سورة النصر آية: ٣.

وكذلك ثبت عنه ﷺ : أنه كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(١) «سبحانه ربي الأعلى»^(٢).

وأما تدبر الصحابة فكان بدمع العيون، واقشعرار الجلود، فقد سأل عبدالله بن عروة بن الزبير جدته أسماء - رضي الله عنها - كيف كان يصنع أصحاب رسول الله ﷺ إذا قرأوا القرآن؟ قالت: «كانوا كما نعتهم الله تعالى: تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم»^(٣).

وعن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قرأت هذه الآية: ﴿فَمَنْ أَلَّهْ عَلَيْنَا وَوَقَلْنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾^(٤) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾﴾^(٤) فقالت: «اللهم منّ علينا، وقنا عذاب السموم، إنك أنت البر الرحيم» قيل للأعمش: «في الصلاة»؟ قال: «نعم»^(٥). وقد تأثرت أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - بهذه الآية وترديدها وكثرة الاستعاذة عند ذكرها، وقد تقدم ذكر هذا التأثير في المطلب السابق، إن هذا الدعاء من هذه الصديقة

(١) سورة الأعلى آية: ١.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، المسند ١/ ٢٣٢، وأبو داود، السنن، ح ٨٨٣، والحاكم في المستدرک ١/ ٢٦٣-٢٦٤، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ح ٧٥٨.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره، ل ١٦٩، عن هشيم، عن حصين، عن عبدالله، وسنده صحيح.

(٤) سورة الطور، آية: ٣٧، ٣٨.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح، انظر: تفسير ابن كثير ٧/ ٤١١، طبعة الشعب.

بنت الصديق - رضي الله عنهما - أوردته لتكون من أولئك المذكورين في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (١) فتكون في عدادهم، فنسأل الله تعالى أن يمن علينا، وأن يقينا عذاب السموم.

ولقد تأثرت الجن بهذا المنهج، وسلوكته وعملت به، وأخبر بذلك ﷺ أصحابه - رضي الله عنهم - كما سيأتي في المطلب التالي، ليشجعهم ذلك على التدبر والتفاعل مع القرآن العظيم.

وأخرج الإمام أحمد من طريق عبدالله بن المبارك، وقتيبة بن سعيد، عن ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن زياد بن نعيم، عن مسلم بن خرق، عن عائشة قال: «ذَكَرَ لَهَا أَنَّ نَاسًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ فِي اللَّيْلَةِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، فَقَالَتْ: أَوْلَئِكَ قَرَأُوا وَلَمْ يَقْرَأُوا، كُنْتُ أَقُومُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ التَّمَامِ، فَكَانَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءِ، فَلَا يَمُرُّ بِآيَةٍ فِيهَا تَخَوُّفٌ، إِلَّا دَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاسْتَعَاذَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةٍ فِيهَا اسْتِبْشَارٌ، إِلَّا دَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَرَغِبَ إِلَيْهِ» اهـ.

وذكر الحافظ ابن كثير هذا الحديث، ثم تلاه بحديث ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (٢) «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ جَبْرِيلُ بِالْوَحْيِ، وَكَانَ مِمَّا يَحْرُكُ لِسَانَهُ وَشَفْتَيْهِ، فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ...»

(١) سورة الطور آية: ٣٨.

(٢) سورة القيامة: ٣١.

متفق عليه. ثم قال: «وفيه دليل على استحباب ترتيل القراءة والترسل فيها، من غير هذمة ولا سرعة مفرطة، بل بتأمل وتفكر، قال الله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (١) (٢).

والهذمة هي: السرعة في الكلام.

إن مثل هذه القراءة المؤثرة إذ التقى معها التأمل بمقاصدها والتفهم لمعانيها، فإنها تمس شغاف القلب، فيخشع ويخضع للخالق الذي يخاطب عباده.

وقد حثنا النبي ﷺ أن نسأل الله تعالى عند قراءة القرآن العظيم، فقد ثبت عنه أنه قال: «من قرأ القرآن فليسأل الله به...» وهذا الحديث رواه عمران بن حصين: «أنه مر على قارئ يقرأ القرآن، ثم سأل، فاسترجع...» ثم ذكر الحديث (٣).

مما يدل على أن الصحابة قد عملوا بهذا التدبر النبوي، وذلك إذا مرّ بآية فيها رحمة سأل، أما الاسترجاع فإنه عند المصيبة، فلعله عند ذكر القصص وما فيها من المصائب والصبر عليها.

وهكذا تدبر الصحابة والتابعين ومن بعدهم على المنهاج النبوي.

(١) سورة ص آية: ٢٩.

(٢) انظر: فضائل القرآن، ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٣) سنن الترمذي، ثواب القرآن، باب ٢٠، ح ٣٠٩٦، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٢٣٣٠، وفي السلسلة الصحيحة، ٢٥٧.

فقد أخرج أبو نعيم من طريق أبي بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا وكيع، عن عبدالله بن موهب - الخولاني الشامي - ، عن صالح بن سعيد المؤذن، قال: «بينا أنا وعمر بن عبدالعزيز بالسويداء، فأذنت الآخرة، فصلى، ثم دخل القصر، فقلما لبث أن خرج، فصلى ركعتين خفيفتين، ثم جلس فاحتبى، فافتتح بالأنفال، فما زال يرددها ويقرأ، كلما مر بتخويف تضرع، وكلما مر بآية رحمة دعا حتى أذنت الفجر^(١) .

وأخرج الإمام أحمد عن بهز قال: حدثني ابن سليمان، حدثنا أسماء ابن عبيد، عن نافع قال: «كان عبدالله بن عمرو يقرأ في صلاته، فيمر بالآية فيها ذكر الجنة، فيقف عندها، فيدعو ويسأل الجنة، قال: ويدعو ويبكي، وقال: ويمر بالآية فيها ذكر النار، فيدعو ويستجير بالله عز وجل منها^(٢) .

وأخرج ابن أبي شيبة بسنده عن محمود بن ربيع، عن الصناجعي، قال: «صليت مع أبي بكر المغرب، فدنوت منه، حتى مست ثيابي ثيابه، أو يدي ثيابه، فقرأ في الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب، وقال: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾^(٣) (٤) . وذلك لأن في سورة الفاتحة قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ .

(١) الحلية، ٣٢٤/٥، وانظر: هداية الإنسان، ص ٥٧٢.

(٢) الزهد، ص ٢٨٥، رقم ١٠٧٢، وسنده حسن.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨.

(٤) المصنف، ٣١٨/٢، رقم ٣٦٩٩، كتاب الصلاة، باب (من كان يقرأ القرآن الأولين بفاتحة الكتاب).

وعن محمد بن يوسف الفريابي قال: «قرأ علي سفيان الثوري كتابه إلى عباد بن عباد الخواص، وفيه: وإذا قرأت القرآن، أو قريء عليك القرآن فافهم القرآن، وتفكر في كل حرف منه...»^(١).

وقال حسين بن علي بن يزيد الكرايسي: «بت مع الشافعي بمصر ليلة، فكان يصلي ثلث الليل، فما رأيته يزيد على خمسين آية، فإذا أكثر فمائة، وكان لا يمر بآية رحمة إلا يسأل الله لنفسه والمؤمنين والمسلمين عفوه، ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ منها، وسأل النجاة لنفسه، ولجميع المؤمنين...»^(٢).

وقال مجاهد: «عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أوقفه عند كل آية، أسأله: فيم نزلت؟ وكيف كانت؟ ويقول لي: اكتب، فأكتب»^(٣).

وعن عون بن عبد الله قلت لأم الدرداء: «أي عبادة أبي الدرداء أكثر؟»، قالت: «التفكر والاعتبار»^(٤).

وعن أبي الدرداء قال: «تفكر ساعة خير من قيام ليلة»^(٥).

وعن نافع: «كان ابن عمر إذا قرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ

(١) رواه ابن عبد الهادي بسنده عنه، هداية الإنسان، ص ٥٣٨.

(٢) انظر: هداية الإنسان، ص ٥٥٢.

(٣) انظر: السير، ٤/ ٤٥٠.

(٤) تاريخ دمشق، ١٣/ ٣٧٧، وسير أعلام النبلاء، ٢/ ٣٤٨.

(٥) طبقات ابن سعد، ٧/ ٣٩٢، وسير أعلام النبلاء، ٢/ ٣٥٢.

قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴿^(١)﴾ بكى حتى يغلبه البكاء» ^(٢) .

وعن مهدي قال: «كنت لا أستطيع سماع قراءة سفيان الثوري من كثرة بكائه» ^(٣) .

وعن إسحاق بن إبراهيم الطبري قال: «ما رأيت أحداً أخوف على نفسه ولا أرجى للناس من فضيل، كانت قراءته حزينة، شهية، بطيئة، مترسلة، كأنه يخاطب إنساناً، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة يردد فيها وسأل...» ^(٤) .

وعن يزيد بن عبيدة قال: «من أراد أن يعرف كيف وصف الله نفسه، فليقرأ شيئاً من أول الحديد» ^(٥) ، وهو كما قال في الآيات الست الأول من سورة الحديد، فيها بعض صفات الله تعالى.

وعن زهير بن صالح قال: حدثنا أبي، قال: «سمعت أبي كثيراً يتلو سورة الكهف، وكثيراً ما كنت أسمعه يقول: اللهم سلّم سلّم» ^(٦) . وكذا كان يقول الإمام أحمد ^(٧) .

وبينما محمد المنكدر ذات ليلة قائم يصلي إذا استبكى، فكثر بكاؤه،

(١) سورة الحديد، آية ١٦.

(٢) انظر: الحلية، ٣/ ٢١٤.

(٣) السير، ٧/ ٢٧٧.

(٤) انظر: الحلية، ٨/ ٨٦، والمنتظم، ٥/ ٢٦١٧، وسير أعلام النبلاء، ٨/ ٤٢٨.

(٥) سير أعلام النبلاء، ٦/ ٣٠٨.

(٦) سير أعلام النبلاء، ١١/ ٢٢٢.

(٧) سير أعلام النبلاء، ١١/ ٢٠٩.

حتى فزع أهله، وسألوه، فاستعجم عليهم، وتماذى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم، فجاء إليه، فقال: «ما الذي أبكاك؟» قال: «مرت بي آية» ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾^(١) فبكى أبو حازم معه، فاشتد بكاؤهما^(٢).

ولعله بقي متأثراً متفكراً متدبراً بهذه الآية العظيمة حتى موته، فقد روى عكرمة بن إبراهيم عن ابن المنكدر أنه جزع عند الموت، فقيل له: «لم تجزع؟» قال: «أخشى آية من كتاب الله: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾»^(٣) فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحسب^(٤).

وقال حماد بن سلمة: «قرأ ثابت البناني: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا﴾»^(٥) وهو يصلي صلاة الليل ينتحب ويردها^(٦).

وقال حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي: «كنت عند أبي صالح ورجل يقرأ: ﴿لَا يَخْزُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾»^(٧) فالتفت عليّ إلى أخيه الحسن، وقد اخضرّ واصفرّ، فقال: يا حسن، إنها أفزع فوق أفزع، ورأيت الحسن أراد

(١) سورة الزمر، آية: ٤٧.

(٢) انظر: ترجمة محمد بن المنكدر في سير أعلام النبلاء، ٣٥٥/٥.

(٣) سورة الزمر، آية: ٤٦.

(٤) انظر: ترجمة محمد بن المنكدر في سير أعلام النبلاء، ٣٥٥/٥.

(٥) سورة الكهف، آية: ٣٧.

(٦) انظر: السير، ٢٤٥/٥.

(٧) سورة الأنبياء، آية: ١٠٢.

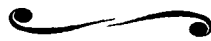
أن يصيح، ثم جمع ثوبه فعرض عليه، حتى سكن عنه، وقد ذبل فمه واخضرّ واصفرّ»^(١).

وقال إبراهيم بن الأشعث: «ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذكر الله، أو ذكر عنده، أو سمع القرآن، ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه وبكى ... وكان دائم الحزن، شديد الفكرة...»^(٢).

وروى أبو نعيم من طريق أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان - يعني الداراني - يقول: «ربما أقمت في الآية الواحدة خمس ليال، ولولا أنني بعد أدع التفكير فيها ما جزتها أبداً»^(٣).

وروى أبو نعيم بسنده عن أبي العباس بن عطاء - ت ٣٠٩ هـ - : «أنه بقي في ختمة بضع عشرة سنة يستروح إلى المعاني مودعها، فمات قبل أن يَختمها»^(٤). وفي رواية أخرى: «يريد الفهم منها»^(٥).

وروى ابن عبد الهادي عن صدقة بن إبراهيم المقابري قال: «كان لي ختمة في كل سنة، أتدبر فيها القرآن»^(٦).



(١) انظر: الحلية، ٣٣٠/٧، السيرة، ٣٧٠/٧.

(٢) انظر: السير، ٤٢٦/٨.

(٣) الحلية، ٢٦٢/٨، وانظر: صفوة الصفوة، ١٦١/٤.

(٤) الحلية، ٣٠٢/١٠، وانظر: صفوة الصفوة، ٢٦٨/٢، وتاريخ بغداد، ٢٧/٥.

(٥) انظر: صفوة الصفوة، ٢٦٨/٢.

(٦) هداية الإنسان، ص ٥٧٦.

تدبر الجن

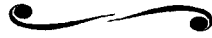
ولقد ذكر الله تعالى تدبر الجن عندما سمعوا قراءة النبي ﷺ للقرآن الكريم، وقيامهم بدعوة أقوامهم، كما في سورة الأحقاف في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَقْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّندِرِينَ ﴿٣٠﴾...﴾ ^(١) فبين أنهم سمعوا من النبي ﷺ وأنصتوا إليه حتى انتهى، ثم ذهبوا إلى قومهم يدعونهم بأنهم سمعوا قرآنًا موافقًا لما جاء به موسى من الحق، يرشد إلى الطريق الذي لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام، وأنهم حنّوا قومهم على الاستجابة لله تعالى، وأن يصدقوا به، فإن فعلوا غفر لهم ذنوبهم وحفظهم من العذاب.

ومما ورد في تدبر الجن وتأثرهم بالقرآن الكريم: ما ثبت عن جابر - رضي الله عنه - قال: «خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: لقد قرأناها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٠﴾﴾ قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» ^(٢). لقد ذكرت هذه الآية في القرآن الكريم (٣١) مرة،

(١) سورة الأحقاف، الآيات: ٢٩-٣٢.

(٢) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب (من سورة الرحمن)، ح ٣٢٩١، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٢٦٢٤.

ويستتج من قوله ﷺ أنهم كرروا هذا الجواب (٣١) مرة. وهذه الآية فيها خطاب للإنس والجن في كلمة ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ وكذلك في قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ وهي برقم (٣١) من سورة الرحمن، وتكرر الخطاب للإنس والجن في قوله تعالى: ﴿يَلْمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ ثلاث مرات في الآيات (٣٢، ٣٥، ٣٩) من سورة الرحمن.



كيفية التفكير في خلق السموات والأرض

أمرنا نبينا ﷺ بالتفكر في خلق الله تعالى، فقد ثبت عنه أنه قال: «تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله عز وجل» ^(١) وعلمنا كيفية التفكير، إنها حكمة التفكير، وتفكر الحكمة، ولقد بين الله تعالى صفات أولي الألباب، أي العقول السليمة، ومنها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ﴾ ^(٢) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ

فهذه المخلوقات الكبرى براهين ساطعة على عظمة الخالق - سبحانه وتعالى - إذ قال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ

(١) قواه السخاوي، انظر: المقاصد الحسنة، ص ١٥٩، ح ٣٤٢، وفيض القدير، ٢٦٤/٣، وجوده الحافظ ابن حجر، انظر: الفتح، ٣٨٣/١٣، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح ١٧٨٨.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠-١٩١.

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾

وهذه الآيات نتقلب في نعمها، ولا تنفك عنا السموات والأرض ولا الليل والنهار، فأينما كنا، ومتى كنا، فنحن بين السماء والأرض، ومع الليل والنهار، وحينما نتفكر هذه العظمة من المخلوقات نردد قوله تعالى المتقدم في سورة آل عمران، وهو فعل النبي ﷺ، فقد كان يكرر النظر في السماء، وكلما نظر، قرأ هاتين الآيتين، فقد صح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه بات عند النبي ﷺ ذات ليلة، فقام نبي الله ﷺ من آخر الليل، فخرج، فنظر في السماء، ثم تلا هذه الآية في آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ حتى بلغ: ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ثم رجع إلى البيت فتسوك وتوضأ، ثم قام فصلى، ثم اضطجع، ثم قام فنظر إلى السماء، ثم رجع فتسوك فتوضأ، ثم قام فصلى (٢).

وبعد هاتين الآيتين ذكر الله تعالى تمة الدعاء، ثم ختمه بقوله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ...﴾ (٣).

وهذه بشرى بالاستجابة لذلك الدعاء، فنسأله تعالى أن يزيدنا تدبراً ويتقبل منا.

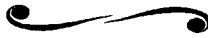
(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

(٢) صحيح المسلم، كتاب الطهارة، باب (السواك)، ١/ ٢٢، ح ٢٥٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

وقد ثبت عنه عليه السلام في هذه الآية أنه قال: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر بها» ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ^(١) ^(٢)، وفيها الوعيد لمن لم يتفكر بهذه الآية ونظائرها.

وقد سئل الأوزاعي عن الآية نفسها، ما غاية التفكر فيهن؟ قال: «يقرأهن وهو يعقلهن»، وسأله عبدالرحمن بن سليمان أيضاً قال: «سألت الأوزاعي عن أدنى ما يتعلق به المتعلق من الفكر فيهن ما ينجيه من هذا الويل؟» قال: «فأطرق هيئة ثم قال: يقرأهن يعقلهن» ^(٣).



(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

(٢) أخرجه ابن حبان بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعاً، وقال الأرناؤوط: «إسناده قوي على شرط مسلم»، الإحسان، ٣٨٧/٢، ح ٦٠٢.

(٣) ذكره ابن عبد الهادي بسنده عنه، هداية الإنسان إلى الاستغناء بالقرآن، ص ٥٣٥.

تدبر النبي ﷺ بالتسبيح

اعتنى النبي ﷺ بالأذكار، ومنها التسبيح، ومن صفات وصيغ تدبره في التسبيح: ما ورد عنه بعد نزول سورة النصر، فقد صح عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: «ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(١) إلا وكان يقول فيها: سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي»^(٢).

والفاظ الذكر في التسبيح التي أثنى عليها رسول الله ﷺ، ما ثبت عن جويرية - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها^(٣)، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «مازلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: «نعم»، قال النبي ﷺ: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»^(٤).

والتسبيح من أحب الكلام إلى الله تعالى كما صح عن النبي ﷺ، وقد سئل رسول الله ﷺ: أي الكلام أفضل؟ قال: «ما اصطفى الله

(١) سورة النصر، آية: ١.

(٢) صحيح البخاري، التفسير، سورة النصر، ج ٤٩٦٧.

(٣) أي موضع صلاتها في بيتها.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب (التسبيح أول النهار)، ح ٢٧٦٧.

لملائكته أو لعباده: سبحانه والله وبحمده»^(١).

وعند ختام الآية باسم من أسماء الرب وصفاته سبحانه وتعالى، فإنه يليق بها التسبيح؛ لأن فيها التنزيه والمدح لله تعالى قال ابن قيم: «أسماء الرب - تبارك وتعالى - كلها أسماء مدح... وقد وصفها الله بأنها حسنى كلها، فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٢) فهي لم تكن حسنى لمجرد اللفظ، بل لدلالاتها على أوصاف الكمال»^(٣).

أخرج أبو داود بسنده عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٤) قال: «سبحان ربي الأعلى»^{(٥) (٦)}.

قال المناوي عند هذا الحديث: «وأخذ من ذلك، أن القارئ أو السامع، كلما مر بآية تنزيه، أن ينزه الله تعالى، أو تحميد، أن يحمده، أو تكبير أن يكبره، وقس عليه»^(٧).

وأخرج أيضاً بسنده عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي،

(١) صحيح مسلم، كتاب الأذان، باب (كراهية التسمية بالأسماء القبيحة)، ح ٢١٣٧.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٨٠.

(٣) انظر: جلاء الإفهام، ص ١٠٨.

(٤) سورة الأعلى، آية: ١.

(٥) السنن، الصلاة، باب (الدعاء في الصلاة)، ح ٨٨٣.

(٦) صحيحه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ح ٧٨٥.

(٧) فيض القدير، ١٥٦/٥.

يتأول القرآن»^(١).

قال السهاري نفوري: «يتأول القرآن، حال من فاعل، يقول: أي يبين المراد من قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾^(٢) آتياً بمقتضاه من آل الشيء إلى كذا، فحاصله أنه يرجع إلى العمل بما في القرآن»^(٣).

وقد أخرج ابن أبي شيبة بأسانيده عن إبراهيم النخعي، وطاووس، ومجاهد: أنهم كانوا يدعون في الفريضة بما في القرآن^(٤).

ومن صيغ التسبيح الواردة في القرآن، ما ذكره الله تعالى في الرد على افتراء المشركين، إذ علمنا سبحانه كيف ننزهه عما يقوله المشركون، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَتَعَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿١٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿١٣﴾﴾^(٥).

فهذه الآية الثانية صيغة من صيغ التسبيح، عندما يقرأ المؤمن ما قصه الله تعالى عن المشركين والرد عليهم، فينبغي أن ننزهه سبحانه وتعالى بما علمنا الحكيم العليم.

أو بصيغة أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٦).

(١) السنن، الصلاة، باب (الدعاء في الركوع والسجود)، ح ٨٧٧، وصححه الألباني،

صحيح سنن أبي داود، ح ٧٨٠.

(٢) سورة النصر، آية: ٣.

(٣) بذل المجهود، ١٥٠/٥.

(٤) المصنف، الصلوات، باب (من كان يستحب أن يدعو في الفريضة بما في القرآن)، ٢٩٨/٢.

(٥) سورة الإسراء، الآيتان: ٤٢-٤٣.

(٦) سورة الزخرف، الآية: ٨٢.

التدبر بالشكر

من الحكمة الشكر لله تعالى، إن الشكر لله تعالى وحمده - سبحانه وتعالى - هو من الحكمة التي آتاه الله تعالى للعبد الصالح لقمان - رحمه الله - إذ أكد سبحانه وتعالى على ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾^(١).
إن هذا التدبر هو حكمة التفكير وتفكر الحكمة.

وقد حثنا - سبحانه وتعالى - على الشكر في آيات كثيرة من القرآن، وخصوصاً عند ذكر رحماته التي لا تعد ولا تحصى؛ والعلة من ذلك أن نشكره، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(٣) ويحث أيضاً بقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾^(٤) وبقوله: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾^(٥).

(١) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٢) سورة الواقعة، الآيات: ٦٨-٧٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٨٠.

(٥) سورة يس، الآية: ٣٥.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١) فالغاية من عرض ونزول هذه الرحمات: هو الشكر له سبحانه وتعالى، وقد وعدنا على ذلك بالثواب منه سبحانه في قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (٢) وتارة يعلق الشكر بالعبادة بعد ذكر نعمه، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٣).

وقد وعد سبحانه بالزيادة، ووعدته حق، قال الإمام ابن قيم الجوزية: «والشكر معه المزيد أبداً، لقوله تعالى: ﴿لِيَنْ شُكْرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ﴾» (٤) فمتى لم تر حالك في مزيد، فاستقبل الشكر» (٥).

وهكذا فمن التدبر عند هذه الآيات الكريمة: أن نثني عليه - سبحانه وتعالى - بالحمد والشكر والتسبيح، وأن لا تقتصر على القول، بل نشكره أيضاً بالأعمال الصالحة، كما قال تعالى: ﴿أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ (٦). وكما صح عن المغيرة أن النبي ﷺ قام حتى تورمت قدماه، فقليل له: «غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر» قال: «أفلا أكون عبداً

(١) سورة الروم، الآية: ٤٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

(٤) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٥) مدارج السالكين، ٢/ ٢٤٦.

(٦) سورة سبأ، آية: ١٣.

شكوراً»^(١).

قال الإمام ابن قيم الجوزية عن منزلة الشكر: «وهي من أعلى المنازل، وهي فوق منزلة (الرضى) وزيادة، فالرضى متدرج في الشكر، إذ يستحيل وجود الشكر بدونه، وهو نصف الإيمان... والإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر... وحقيقته في العبودية، هو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده، ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه، شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه، انقياداً وطاعة، والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره...»، وقال أيضاً: «الشكر: اسم لمعرفة النعمة؛ لأنها السبيل إلى معرفة المنعم»^(٢).

وقد أفرد موضوع الشكر بمصنفات منها:

(الشكر) لابن أبي الدنيا، ت ٢٨١هـ .

(فضيلة الشكر) لأبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي ، ت ٣٢٧هـ ،

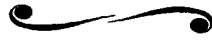
وكلاهما مطبوع محقق.

وأختم هذا بالأدب القرآني، فقد أوصانا الله تعالى بالشكر، وعلمنا كيف ندعوه، وكيف نكون من الشاكرين في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ

(١) صحيح البخاري، التفسير، باب (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك)، ح ٤٨٣٦.

(٢) مدارج السالكين، ٢/ ٢٤٢-٢٤٧.

وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ
أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلَحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ
﴿١﴾ ، وبهذا الدعاء كان سليمان - عليه السلام - يلهج: ﴿ وَقَالَ
رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ (٢) .



(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

(٢) سورة النمل، الآية: ١٩.

كيف يتم القبول عند الله تعالى ؟

وبعد هذه الوصية العظيمة التي أوصى الله تعالى الإنسان بها، وهذا التعليم الحكيم، بشر سبحانه وتعالى بالقبول، وأشار إلى علو مكانة من يعمل بهذه الوصية في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ^(١) ، فالإشارة هنا بالبعد؛ لبيان علو وسمو مكانة أولئك الذين عملوا بتلك الوصية الربانية.

وعرفنا بذلك كيف يتقبل الله تعالى أحسن الأعمال، وذلك عندما يجتمع التوحيد والاستقامة والشكر والعمل الصالح والتوبة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(٢) أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَلِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^(٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ^(٤) ^(٢) ثم أشار إلى القبول في الآية التي بعدها: ﴿أُولَٰئِكَ

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٦.

(٢) سورة الأحقاف، الآيات: ١٣-١٥.

الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ
الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١﴾

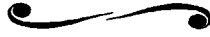
وكذلك بين كيف يتم القبول عندما يستجيب لعباده المؤمنين، كما في
قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لَآيَاتٍ لِّأُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَى
جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا
بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ
أُخْزِيتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٣﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي
لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿٤﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا
تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٥﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي
لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشِئُ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ
هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ
اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿٦﴾

فأخبر سبحانه وتعالى أن هذا المخلوقات التي ذكرها، براهين ساطعة
لأرباب العقول السليمة، الذاكرين الله تعالى في كثير من أحوالهم، الذين

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٦.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١٩٠ - ١٩٥.

يؤمنون بالله تعالى ويدعونه ويطلبون منه المغفرة، ثم بين أنه استجاب لهم.
وهذا من فضله سبحانه وتعالى أن يعلمنا كيفية القبول والاستجابة.
حتى نزداد تفكيراً في مخلوقاته العظيمة والتي نتقلب في خيراتها ونعمائها ثم
تزداد عبادة وطاعة له سبحانه وتعالى.



التدرج بالتلاوة لتحقيق التدبر

لقد ساعد نزول القرآن منجماً على سهولة تدبره، وأول ما نزل من القرآن: خمس آيات من سورة اقرأ.

وقال الحافظ ابن حجر: «أخرج ابن أبي داود عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه كان يقرأ القرآن خمس آيات خمس آيات» وأسند من وجه آخر عن أبي العالية مثل ذلك، وذكر أن جبريل كان ينزل به كذلك، وهو مرسل جيد، وشاهده ما قدمته في تفسير المذثر، وفي تفسير سورة اقرأ^(١).

قال الحافظ ابن كثير: «واستحب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يُلقن خمس آيات ورويناه عنه بسند جيد»^(٢).

وثبت أيضاً عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن، حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»^(٣).

ونستنتج مما تقدم: أن التدرج كان ما بين خمس آيات إلى عشر آيات، وأن همة الصحابة رضي الله عنهم كانت أقوى، وفي الحالتين، يتبين قلة عدد الآيات التي تحفظ وترسخ في الأذهان رسماً وحفظاً وفهماً، ثم تتحول إلى العمل بالجوارح آداباً وأحكاماً. وبهذا العمل في العالم الإسلامي غالباً في مراكز تحفيظ القرآن الكريم.

(١) انظر: فتح الباري، ٧٠٧/٨، ط شبية.

(٢) فضائل القرآن، ص ١١٩.

(٣) تفسير الطبري، رقم ٨١، وشعب الإيمان، ٥١٠/٤، رقم ١٨٠١، والمستدرک للحاكم ٥٥٧/١.

الفهم والتدبر هو الغاية من التلاوة

قال الإمام النووي: «فإذا شرع في القراءة، فليكن شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة، والدلائل عليه أكثر من أن تحصر، وأشهر وأظهر من أن تذكر، فهو المقصود المطلوب، وبه تشرح الصدور، وتستنير القلوب»^(١).

وكان زيد بن ثابت - رضي الله عنه - وهو أحد كتاب الوحي - يرى عدم التسرع في ختم القراءة؛ لكي يتدبر ويقف على الآيات والمعاني التي ينبغي أن يقف عليها، فقد أخرج أبو عبيد، والفريابي كلاهما عن قتيبة، عن مالك بن أنس، عن يحيى بن سعيد أنه قال: «كنت أنا ومحمد بن يحيى بن حباب جالسين، فدعا رجلاً، فقال: أخبرني بالذي سمعت من أبيك؟ فقال الرجل: أخبرني أبي أنه أتى زيد ابن ثابت، فقال له: كيف ترى قراءة القرآن في سبع؟ فقال زيد: حسن، ولئن أقرأه في نصف شهر أو عشرين أحب إليّ، وسلي لم ذاك؟ فقال: إني أسألك؟ قال: لكي أتدبره وأقف عليه»^(٢).

إنه الكيف، وليس الكم، فالعبرة بالتدبر، وليس بكثرة القراءة، أما إذا اجتمع الأمران، فنور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء، نسأل الله

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، ص ٦٥.

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد، ص ١١١، وفضائل القرآن للفريابي، ص ٢١٧.

تعالى أن يشملنا بنوره، آمين.

قال القرطبي: «وأكثر العلماء يستحبون الترتيل في القراءة، ليتدبره القارئ ويفهم معانيه»^(١).

قال الآجري في ذكر أخلاق العالم فيما بينه وبين ربه عز وجل: «همه في تلاوة كلام الله الفهم عن مولاه، وفي سنن الرسول ﷺ الفقه؛ لئلا يضيع ما أمر به متأدب بالقرآن والسنة، لا ينافس أهل الدنيا في عزها، ولا يجزع من ذلها، يمشى على الأرض هوناً بالسكينة والوقار، ومشتغل قلبه بالفهم والاعتبار، إن فرغ قلبه عن ذكر الله فمصيبة عنده عظيمة، وإن أطاع الله عز وجل بغير حضور فهم، فخرسان عنده مبين، يذكر الله مع الذاكرين ويعتبر بلسان الغافلين...» اهـ، ثم استدل لذلك من القرآن والتفسير^(٢).

وروى بسنده عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: «ألا أنبئكم بالفقيه، حق الفقيه؟ من لم يُقْنَط من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يؤمّنهم مكر الله، ولم يترك القرآن إلى غيره، ولا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا خير في تفقه ليس فيه تفهم، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبر»^(٣).

(١) التذكار في أفضل الأذكار، ص ٥٥.

(٢) أخلاق العلماء، ص ٤٧-٤٩.

(٣) أخلاق العلماء، ص ٥٢.

إن التلاوة حق التلاوة لا تقتصر على القراءة والترتيل فقط، وإنما تنبثق عن فهم وعمل.

وقد ثبت عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ قال: «يتبعونه حق اتباعه»^(١).

وثبت عن مجاهد مثله، وثبت عن الحسن البصري: «يعملون بحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه»^(٢).

وقال القرطبي عن تلاوة القرآن: «فمن قرأ قراءة تدبر وتفهم، وعمل بمقتضاه، فقد حصل الغاية القصوى، التي ليس لأحد وراءها مرمى»^(٣).

يتبين لنا مما تقدم: أن التدبر أمره مهم، وأنه الغاية الكبرى من تلاوة القرآن وسماعه.

وقد صح عن النبي ﷺ مكانة الماهر بقراءة القرآن، بأنه مع السفارة الكرامة البررة^(٤).

وهذه بشرى للذي يقرأ بتدبر وتأمل وفهم.

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسير سورة البقرة، الآية: ١٢١.

(٢) رواه المرزوي في تعظيم قدر الصلاة، ٣٩٦/١، رقم ٣٨٤، أخرجه أبو عبيد القاسم ابن سلام بسند حسن عن الحسن، وأخرجه الطبري في تفسيره، ٢٥٠/١، والرازي في فضائل القرآن وتلاوته، ص ١٢٦.

(٣) التذكار في أفضل الأذكار، ص ٥٤.

(٤) انظر: فتح الباري، ٦٩١/٨، كتاب التفسير.

قال القرطبي: «ولا يكون ماهراً بالقرآن حتى يكون عالماً بالفرقان، وذلك بأن يتعلم أحكامه، فيفهم عن الله تعالى مراده، وما فرض عليه، ويعرف المكي من المدني؛ ليفرق بين ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام، وما ندهم إليه في آخر الإسلام... ثم ينظر في السنن الماثورة الثابتة عن النبي ﷺ، فيها يصل الطالب مراد الله عز وجل، وتفتح له أحكام القرآن فتحاً... فإذا حصلت هذه المراتب لقارئ القرآن، كان ماهراً، وهو الكمال، والماهر: الحاذق بالشيء والعالم به»^(١).

هذا، وقد وردت عدة أحاديث صحيحة ومشهورة فيها الأمر بتحسين الصوت، ذكرها الحافظ ابن كثير في كتاب فضائل القرآن، ثم قال: «والغرض: أن المطلوب شرعاً إنما هو تحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة...»^(٢).

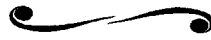
فينبغي أن نجتهد عند قراءة القرآن الكريم بيقظة العقل، وعدم شرود الذهن، والصبر على ذلك، والتذكر بعظيم ثواب القراءة والتدبر وفوائدها في الدنيا والآخرة، فإن يقظة العقل وحضوره مع النية الصادقة فيها ثمرات عظيمة.

قال المحاسبي: «إذا أحضرت عقلك بجمع همك بنية صادقة مع أمل ورجاء أن تنال ما قال، وتسارع إلى محابه، وتتجنب مساخطه، وتريده

(١) انظر: التذكار في أفضل الأذكار، ص ٥٢-٥٣.

(٢) ص ٩٨.

وحده، ولا تريد أن تفهم منه ما تتصنع به عند العباد، فإذا نظر الله عز وجل إليك وأنت كذلك، وعلم ذلك من ضميرك، أقبل بلطفه، وولي تقويم عقلك بفهم كلامه، وما فيه من علم الغيوب، ومكنون الوعيد، فحينئذ تكون للقرآن مفهماً، فتستنطق منه علم ما عميت عليك فيه الحجة، فيوضح الله لك به البرهان، ويمدك بالفوائد، ويجلي عنك ظلم الشبه، ويدلك على محجة المهتدين، ويذيقك الحلاوة التي أذاقها أهل التقوى، لأن كلامه ربيع قلوب الأبرار، ويثقل فهمه على من تعطل قلبه... فإذا أقبلت على الله تعالى بصدق نية ورغبة لفهم كتابه باجتماع هم، متوكلاً عليه أنه هو الذي يفتح لك الفهم، لا على نفسك فيما تطلب، ولا بما لزم قلبك من الذكر، لم يخيبك الفهم والعقل عنه - إن شاء الله - ^(١).



(١) انظر: فهم القرآن، ص ٣٢٢-٣٢٤.

التدبر بفهم معاني القرآن

من أهم أساليب التدبر: فهم معاني كلام الله عز وجل، حتى يجيد القارئ الاستجابة لله تعالى، وحتى يضمن زيادة الإيمان.

وقد ذكر الحارث المحاسبي كيفية فهم معاني ما نقرأ من القرآن وما نسمع، فأورد السؤال، ثم أجاب، قال: بإحضار عقلك، فبذلك تفهم وتذكر، ألم تسمعه عز وجل يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (١).

قال مجاهد: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾، لا يحدث نفسه بغير ما يسمع، وهو شهيد. قال: شاهد القلب.

قلت: فكيف أحضر عقلي حتى يكون شاهداً لا يغيب عن فهم كلام ربي جل وتعالى؟

قال: بأن تجمع فهمك، حتى لا يكون فهمك متفرقاً في شيء غير طلب الفهم لكلام مولاك.

قلت: وكيف أجمع فهمي حتى لا يتفرق في شيء سوى ذلك؟

قال: تمنع عقلك من النظر في شيء سوى طلب فهم كتاب ربك جل وتعالى.

(١) سورة ق، آية: ٣٧.

قلت: وكيف أجمع عقلي؟

قال: بأن لا تشغل جوارحك بما لا يشتغل به عقلك، وأن تستعمل كل جارحة بما يعينك على الفهم، كنظرك في مصحف، واستماعك إلى تلاوتك، أو تلاوة غيرك، وتمنع عقلك من كل فكر وذكر، يقوى طلب فهم كلام مولاك؛ لأنك إذا لم تشغل جوارحك بشيء غير ذلك، ومنع عقلك عن النظر والفكر في غير ذلك، اجتمع همك وحضر، وإذا حضر عقلك زكا ذهنك، وإذا زكا ذهنك قويت على طلب الفهم، واستبان فيه اليقين، وصفا فيه الذكر، وقوي فيه الفكر، وبذلك مدح المستمعين لتلاوة كتابه بالفهم، فقال عز وجل: ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ﴾ ^(١) مدحهم بأن سكتوا عن الكلام لئلا يشتغلوا عن فهم ما يتلو نبيه - عليه السلام - عليهم، ولم يعلموا ما فيه وما هو، فلما قضى وفهموا عن الله عز وجل ما تلا عليهم نبيه - عليه السلام - ولوا إلى قومهم منذرين (تحدثوا)، وفهموا من الله عز وجل ما سمعوا، فقالوا: ﴿ يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٢) يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِنَ عَذَابِ أَلِيمٍ ^(٣) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ^(٤) وقالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا

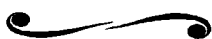
(١) سورة الأحقاف، آية: ٢٩ .

(٢) سورة الأحقاف، الآيات: ٣٠-٣٢ .

عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴿١﴾ .

لقد نطقوا بالحكم عن فهم بين، وعن عقول ذكية في استماع آيات في مقام واحد، فدعوا إلى إجابة الله عز وجل، وأملوا المغفرة والنجاة من العذاب الأليم، وأخبروا أنه من أعرض عما تلا نبيه ﷺ من كلام عز وجل لا يعرف الله، وأن مصيره إليه ^(٢) .

إن ما ذكره المحاسبي خطوات عملية يجب أن نقوم بها، حتى نصل إلى ميدان التدبر، فهي خطوات ضرورية لمن رام إلى ذلك المقام المنشود.



(١) سورة الجن، آية: ١ - ٢ .

(٢) فهم القرآن، ص ٣١٨ - ٣٢٠ .

التدبر ببيان القرآن بالقرآن

لقد أنزل الله تعالى القرآن منجماً حسب الوقائع والحوادث، وقد ساعد ذلك على فهمه وبيانه: ﴿ كَتَبَ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (٢)، ومعنى ﴿ فُصِّلَتْ ﴾ أي: بينت (٣).

وعندما تتأمل آيات الله تعالى نجد حشداً كبيراً مبيناً آيات أخرى، وأكثره يأتي متصلاً، فنرى تفسير الآية بالآية التي بعدها، وقد يكون التفسير بآية واحدة أو بأكثر من آية، ومثاله: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ (٥) فيين سبحانه وتعالى ما هو الطارق؟ وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ (٥) بيتها الآيات التي بعدها، قوله تعالى: ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ (٦) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿ (٦)، والأمثلة تربعو على عدة مئات من الآيات.

إن التأمل في اتصال الآيات فيما بينها يمكننا من استنباطات

(١) سورة فصلت، الآية: ٣.

(٢) سورة هود، الآية: ١.

(٣) انظر: التفسير الصحيح، ٤/ ٢٦٩.

(٤) سورة الطارق، آية: ١-٣.

(٥) سورة المعارج، الآية: ١٩.

(٦) سورة المعارج، الآيتان: ٢٠-٢١.

لمعلومات مبتكرة، منها: في أسباب النزول، فنستنبط أسباب لم يذكرها أرباب هذا العلم، وذلك في الآيات التي فيها الحوار والسؤال للنبي ﷺ من قبل الصحابة - رضي الله عنهم - أو من غيرهم من المشركين وأهل الكتاب، وذلك في الآيات التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ ، ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ ويأتي بعدها: ﴿قُلْ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ ^(١) ، ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمَرُوا هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ ^(٢) ، فالآية الأولى فيها: ﴿قُلْ هِيَ مَوْفِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ﴾ سبب نزولها: هو السؤال عن الأهلة، وأما الآية الثانية: ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ الآية، فسبب نزولها: السؤال عن الكلاله، وهكذا، فعدد الآيات التي ورد فيها لفظ يسألونك: خمس عشرة آية، ما عدا يستفتونك.

أما أمثال آيات الحوار، فهي أكثر مما تقدم بكثير، منها، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفَاتًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ * ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ * ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ ^(٣) .

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

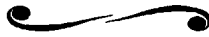
(٢) سورة النساء، أواخرها.

(٣) سورة الإسراء، الآيات: ٤٩-٥١.

فالآية رقم (٥٠) و (٥١) نزلتا بسبب قولهم المذكور في آية (٤٩):
﴿أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفَاتًا أَعِزَّنَا لَمَبْعُوْثُوْنَ خَلْقًا جَدِيْدًا﴾ .

وكذلك استنباط المناسبات، كل ذلك بتدبر الآيات المتصلة، والسور المتصلة، أما معرفة الغريب الذي لم يذكره القرآن الكريم، وكذلك الناسخ والمسنوخ، فإنه لا بد من الرجوع إلى كتب التفسير المعتبرة، والمأثورة الصحيحة.

ومن الكتب المعتبرة في تفسير القرآن بالقرآن التي تساعد على التدبر في هذا المطلب هو كتاب «أضواء البيان» للعلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى.



التدبر بأذكار القرآن الكريم

لقد رغبتنا الله تعالى أن نذكره في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(١)، وفيه بيان للمكانة المرموقة التي يتبوأها الذين يذكرون الله تعالى، فإنهم في معية الله تعالى، بذكره سبحانه سينالون هذا المقام العظيم، إذ وعد بأنه سيذكرهم، بل سيذكرهم في ملائ خير منهم، كما بشر النبي ﷺ في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم...»^(٢).

ولقد أمر الله تعالى بالإكثار من الذكر بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الْمُدِينَ ءَامِنُونَ أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^(٣).

وهنا لا بد من الاستجابة لهذا النداء المبارك، بأن نكثر من ذكره الوارد في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية الشريفة، فإن جزاء هذه الاستجابة عظيم في الدنيا والآخرة، وما يؤكد على خطورة هذه الاستجابة، أن من صفات الكفار أنهم لا يستجيبون لذلك: ﴿وَإِذَا دُكِّرُوا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٢) صحيح البخاري، التوحيد باب (قوله تعالى: ﴿وَيُحَدِّثْكُمْ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾)، ح ٧٤٠٥، وصحيح مسلم، الذكر، باب (الحث على ذكر الله تعالى)، ح ٢٦٧٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤١.

لَا يَذْكُرُونَ ﴿١﴾ ، والمنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢) ، ولا شك أن هذا من ديدن الشيطان الذي يصد عن ذكر الله تعالى: ﴿وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٣) .

فيجب على المؤمن أن لا يتصف بهذه الصفة، بل يذكر الله تعالى كثيراً؛ كي ينال ما سبق من مقام؛ وكي يطمئن قلبه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٤) ، والذكر بالقلب، واللسان، والجوارح.

قال الإمام النووي: «اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها، بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكراً لله تعالى، كما قال سعيد بن جبير وغيره من العلماء»، وقال أيضاً: «الذكر يكون بالقلب، ويكون باللسان، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً، فإن اقتصر على أحدها فالقلب أفضل، ثم لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يظن به الرياء، بل يذكر بهما جميعاً، ويقصد به وجه الله تعالى، وقد قدمنا عن الفضيل - رحمه الله - أن ترك العمل لأجل الناس رياء، والمراد من الذكر: حضور القلب، فينبغي أن يكون هو مقصود الذاكر، فيحرص على تحصيله، ويتدبر ما يذكر،

(١) سورة الصافات، الآية: ١٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٩١.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

ويتعقل معناه، فالتدبر في الذكر مطلوب، كما هو مطلوب في القراءة؛ لاشتراكهما في المعنى المقصود، ولهذا كان المذهب الصحيح المختار، استحباب مد الذاكر قول: (لا إله إلا الله)؛ لما فيه من التدبر^(١).

وهذا الذكر له آثار عظيمة في تفريج الكروب واطمئنان القلوب، فهذا نبي الله أيوب - عليه الصلاة والسلام - قد فرج الله كربته: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿٣٦﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٧﴾﴾^(٢) ، فقد كان ذكره: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. وتدبر هذه الأذكار من القرآن الحكيم تسعفنا في إزاحة الهموم وإزالة الكروب.

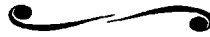
قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام: «وأفضل الأذكار ما صدر عن استحضار صفات الكمال ونعوت الجلال، ودونهما ذكر الإنعام والأفضال الذي هو وسيلة إلى الحب والشكر، وذكر الثواب والعقاب اللذين هما وسيلتان إلى ترك العصيان، ليسا بمقصودين إلا للحث على الطاعة والإيمان... والأذكار المشروعة أفضل من الأذكار المخترعة، وكذلك الاقتصار على الدعوات الصحيحة المشروعة أولى من الدعوات المجموعات، وإن كانت جائزة، وكذلك التعبير عن معاني القرآن بما جاء فيه من الكلمات أولى من التعبير عن ذلك بالمراجعات، إلا أن يكون

(١) الأذكار، ص ٦-٩.

(٢) سورة الصافات، الآيتان: ١٤٣-١٤٤.

الغرض البيان»^(١) .

وقد وردت أدعية كثيرة في القرآن الكريم جمعت في كتب الأذكار والدعاء، وعند تلاوة القرآن الكريم نمر بها كلها، ونقف عندها حتى ندعو بها، فإنه تعليم من العليم الحكيم.



(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، ٢/ ١٧٠-١٧١.

كيف يتم التدبر والتأثر بالقرآن؟

إن التأثر بالقرآن الكريم من أهم القضايا في حياتنا اليومية لمن ينشد الحياة الطيبة؛ وذلك لما فيه من الطمأنينة القلبية، والراحة النفسية، والارتقاء إلى درجاتٍ عليا من الإيمان، واستجلاب التأثر لا بد من حضور القلب، وإصغاء السمع، وهذا التأثير لا يقتصر على المسلمين قط، فقد أثر في غيرهم، وغير مجرى حياتهم، وإليك صورة لهذا التأثر التي حظيت به المرأة الإنكليزية (عائشة برجت هوني) إذ تقول: «لن أستطيع مهما حاولت أن أصف الذي تركه القرآن في قلبي، فلم أكد أنتهي من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتني ساجدة لخالق الكون، فكانت هذه أول صلاة لي في الإسلام»^(١).

ولقد اعتنى العلماء بكيفية التدبر للقرآن الكريم والتأثر به، ولكل وجهة، لكن الغاية واحدة، ألا وهي: الاستجابة لله عز وجل لما في القرآن الكريم.

عن مسلم الخواص قال: «كنت أقرأ القرآن، فلا أجد له حلاوة، فقلت لنفسي: اقريه كأنك سمعته من رسول الله ﷺ. قال: فجاءت حلاوة قليلة، ثم قلت لنفسي: اقريه كأنك سمعته من جبريل - عليه السلام - حين أخبر به النبي ﷺ. قال: فازدادت الحلاوة، ثم قلت

(١) رجال ونساء أسلموا، ١/ ٥٩-٦٠.

لنفسى: اقرئيه كأنك سمعته من الله - سبحانه وتعالى - حين تكلم به، فجاءت الحلاوة كلها»^(١).

إن هذا الفعل هو غاية التأمل وتأمل الغاية.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن: فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٢)، وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مقتض، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد، فقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا﴾ إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى هاهنا، وهذا هو المؤثر، وقوله: ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ فهذا هو المحل القابل، والمراد به: القلب الحي الذي يعقل عن الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾^(٣) لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا^(٣) أي: حي القلب، وقوله: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ أي: وجه سمعه، وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا شرط التأثير بالكلام، وقوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: شاهد القلب، حاضر غير غائب، قال ابن

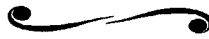
(١) انظر: الحلية، ٢٧٩/٨، وصفوة الصفوة، ١٩٣/٤.

(٢) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٣) سورة يس، آية: ٦٩ - ٧٠.

قتيبة: «استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساه»، وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له، والنظر فيه وتأمله، فإذا حصل المؤثر، وهو القرآن، والمحل القابل، وهو القلب الحي، ووجد الشرط، وهو الإصغاء، وانتفى المانع، وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر، وهو الانتفاع والتذكر»^(١).

إذا حصل التأثير في القلب فإنه سيؤثر على بقية الأعضاء، وربما تأثرت العين بالبكاء، فحينما تذرف دموعها من خشية الله تعالى، فإنه دليل حسي على حصول التدبر والتأثر، ولنرى تأثر النبي ﷺ ومن بعده.



(١) الفوائد، ص ٩-١٠.



البكاء من التأثر بسماع القرآن الكريم

وبعض الأحيان كان يبكي ﷺ عند سماعه لبعض الآيات، وفيه تعبير وبيان لهول الموقف في تلك الآيات، فقد ثبت عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال له النبي ﷺ: «اقرأ عليّ»، قلت: «أقرأ عليك، وعليك أنزل؟»، قال: «فإني أحب أن أسمع من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾»، قال: «أمسك»، فإذا عيناه تذرفان ^(١).

هذا البكاء يوحى إلى خطورة هذا الموقف وهيبته، إذ الخلائق على صعيد واحد، والأنبياء يشهدون على أمهم، ثم يشهد عليهم نبينا محمد ﷺ وأمته.

وهكذا كان شدة تأثر الصحابة - رضي الله عنهم - عند تلاوة القرآن الكريم.

أخرج أبو عبيد القاسم بن سلام بأسانيد ثابتة عن عبيد بن عمير قال: «صلى بنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - صلاة الفجر، فافتتح سورة يوسف، فقرأها حتى بلغ: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ بكى، حتى انقطع، فركع» ^(٢).

(١) صحيح البخاري تفسير سورة النساء، باب (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد)، ح ٤٥٨٢.

(٢) فضائل القرآن، ص ١٣٧، تحقيق: مروان العطية.

أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن عبدالله بن أبي مليكة قال: «صحب ابن عباس من مكة إلى المدينة، وكان إذا نزل قام شطر الليل، قال: فسأله أيوب: كيف كانت قراءته؟ قال قرأ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾^(١)، فجعل يرتل، ويكثر من ذاكم النشيج»^(٢).

أخرج البخاري بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - : «... ثم بدا لأبي بكر، فابتنى مسجداً بفناء داره، فكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن فيتقصف عليه^(٣) نساء المشركين وأبناءهم، يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن»^(٤).

قال الإمام النووي: «وعن أبي صالح قال: قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر - رضي الله عنه - فجعلوا يقرؤون القرآن ويبكون، فقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - هكذا كنا».

وقال أيضاً: «قال الإمام أبو حامد الغزالي: البكاء مستحب مع القراءة عندها».

قال: «وطريقه في تحصيله، أن يحضر قلبه الحزن، بأن يتأمل ما فيه من

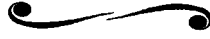
(١) سورة ق، الآية: ١٩.

(٢) الزهد، ص ٢٧٨، رقم ١٠٤٣. والنشيج: صوت معه توجع وبكاء كما يردد الصبي بكاءً في صدره (قاله ابن الأثير في النهاية ٥/ ٥٣).

(٣) أي: يزدحم.

(٤) صحيح البخاري، الكفالة، باب (جوار أبي بكر)، ح ٢٢٩٧.

التهديد والوعيد الشديد، والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في ذلك،
فإن لم يحضره، حزن وبكى ... فليبك على فقد ذلك، فإنه من أعظم
المصائب»^(١).



(١) التبيان، ص ٦٩.

لماذا عدم التأثر؟

أما الذي لا يتأثر، فهو كالجثة الهامدة، يقول الأستاذ الفرنسي المسلم الذي تأثر بالقرآن (فنساي مونتاي المنصور بالله الشافعي): «إن مثل الفكر العربي الإسلامي المبعد عن التأثير القرآني، كمثّل رجل أفرغ من دمه»^(١).

قال فضل الرقاشي: «وأي عين لا تهمل على حسن الصوت بالقرآن إلا أعين غافل، أو لاه»^(٢).

أخرج ابن عساكر من طريق جعفر بن ميمون عن أبي العالية قال: «سيأتي على الناس زمان تحرب صدورهم من القرآن، وتبلى كما تبلى ثيابهم وتتهافت، فلا يجدون له حلاوة، ولا لذادة»^(٣).

وقد روى نحوه الخطيب البغدادي من رواية الصحابي حذيفة^(٤).

وهذه المصيبة نشكو ويشكو منها الكثير، وفي هذه المناسبة تأتي
سؤالات:

لماذا لا توجل القلوب بذكر الله تعالى؟ وقد ذكر الله تعالى في القرآن

(١) رجال ونساء أسلموا، ٥١/٥.

(٢) انظر: الرقة والبكاء، لابن أبي الدنيا، ص ٩٤، والحلية، ٢٠٧/٦.

(٣) انظر: تاريخ دمشق، ١٨١/١٨.

(٤) انظر: تاريخ بغداد، ٤٠٠/١.

(١٠٦٢٠) مرة، أحصاها ، ا. د. محمد عبدالله دارز^(١) .

لماذا لا تطمئن القلوب بذكر الله تعالى؟

كم من الآيات نهذا هذا؟

كم من الأوامر عصينا؟

كم من النواهي أهملنا؟

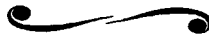
كم من المواعظ تركنا؟

كم من السؤالات عنها سكتنا؟

كم من الحكم فاتتنا؟

الجواب: أنها كثيرة، ولعل العلاج هو: ما سبق في كيفية التأثر بقراءة

القرآن الحكيم، وما سيأتي في تدبر أحكام القرآن.



(١). دستور الأخلاق في القرآن، ص ٤٨٦.

التدبر عند الآيات التي فيها استفهام

لقد ورد في القرآن الكريم سؤالات كثيرة في قضايا خطيرة، وعلمنا الله تعالى كيف نجيب، وكذلك أرشدنا النبي ﷺ إلى تدبر هذه السؤالات، وماذا ينبغي أن نقول، وبماذا نجيب، وفي ذلك نحقق بعض الاستجابة المطلوبة منا، فقد أمرنا الله تعالى بالاستجابة له مطلقاً في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (١).

وأخرج أبو داود أيضاً بسنده عن موسى بن أبي عائشة قال: «كان رجل يصلي فوق بيته، وكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ (٢) سبحانك فبلى (٣)، فسأله عن ذلك، فقال: سمعته من رسول الله ﷺ».

قال أبو داود: «قال أحمد: يعجبني في الفريضة أن يدعو بما في

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٢) سورة القيامة، آية: ٤٠.

(٣) قال الألباني: «كانت في المطبوع: (فبكى)، والذي في المخطوطتين ما ذكرت، ونقل عن الشيخ محيي الدين عبد الحميد في نسخه معتمدة: (فبلى) باللام بدل الكاف، قال ابن رسلان: وأكثر النسخ المعتمدة باللام بدل الكاف، وبلى حرف جواب، يقصد به إثبات ما بعد النفي، أي: أنت قادر»، صحيح سنن أبي داود ١/١٦٨، وبلفظ: (بلى) أخرجه البغوي من حديث أبي هريرة مرفوعاً، ومن طريق موسى بن أبي عائشة أيضاً به، شرح السنة، ٣/١٤٠، وباللام أيضاً: في نسخة السنهاري، بذل المجهود، ١٥٦/٥.

القرآن»^(١)، وصححه الألباني^(٢).

قال الألباني: «وهو مطلق، فيشمل القراءة في الصلاة، وخارجها، والنافلة، والفريضة، وقد روى ابن أبي شيبة عن أبي موسى الأشعري والمغيرة أنهما كانا يقولان ذلك في الفريضة، ورواه عن عمر وعلي إطلاقاً»^(٣).

قال السهاري نفوري في بيان كلمة الإمام أحمد «يعجني في الفريضة أن يدعو المصلي بها» أي: «بالدعوات التي نزلت في القرآن، وإن جاز أن يدعو بالدعوات التي وردت في الحديث»^(٤).

قال المناوي بعد أن ذكر الحديث: «لأنه قول بمنزلة السؤال، فيحتاج إلى الجواب، ومن الخطاب أن لا يترك المخاطب جوابه، فيكون السامع كهيئة الغافل، أو كمن لا يسمع إلا دعاء ونداء من الناعق به: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾»^(٥) فهذه هبة سنية، ومن ثم ندبوا لمن مر بآية رحمة أن يسأل الله الرحمة، أو عذاب أن يتعوذ من النار...»^(٦).

(١) السنن، الصلاة، باب (الدعاء في الصلاة)، ح ٨٨٤.

(٢) صحيح سنن أبي داود، ح ٧٨٦، ونسبه للبيهقي أيضاً بسند صحيح، (صفة صلاة النبي ﷺ، ص ٧).

(٣) صفة صلاة النبي ﷺ، ص ٧٦.

(٤) بذل الجهود، ١٥٧/٥.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٧١.

(٦) فيض القدير، ١٥٦/٥.

وهذا التدبر أدب نبوي يؤيده القرآن العظيم في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٢)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ (٣)، ففي هذه الآيات الثلاث ورد السؤال ثم الجواب بلفظ: بلى.

قال الإمام البغوي: «وروي عن علي - رضي الله عنه - أنه قرأ في الصلاة بالليل: ﴿أَقْرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ (٤) ؕ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ (٥) قال: بل أنت يا رب، ثلاثاً، وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ نَحْنُ الْزَارِعُونَ﴾ (٥).

أما ما ورد من الاستفهام في الآيات التي ورد فيها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ (٦)، فنجيب بالتسبيح، وكلمة التوحيد، ففيه تنزيه له سبحانه وتعالى، وفيه الاستجابة له سبحانه بكلمة التوحيد، وكذلك نذكر

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٠.

(٢) سورة يس، الآية: ٨١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٤) سورة الواقعة، الآيتان: ٥٨-٥٩.

(٥) شرح السنة، ٣/ ١٠٥.

(٦) تكررت في سورة النمل خمس مرات، الآيات: ٦٠-٦٤.

كلمة التوحيد والتسييح عند ورود ذكر افتراء المشركين على الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ^(١) ، وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ^(٢) ، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ^(٣) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ^(٤) .

وهكذا كلما تأملنا في القرآن العظيم، نجد التوجيهات الربانية لأسس التدبر.

والجواب بلفظ: (سبحانك فبلى) يصلح لكثير من الآيات التي ورد فيها الاستفهام مع ليس، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٥) ، وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ ^(٦) ، وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ^(٦) ، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

(١) سورة الروم، الآية: ٤٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٣) سورة النحل، الآيتان: ٢٥-٢٦.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ١٠.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٦٨.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٦٠.

وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ^(١) ، وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ^(٢)﴾ ، وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ^(٣)﴾ ، وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ^(٤)﴾ ، وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ^(٥)﴾ .

وكذلك في كثير من الاستفهام من غير اقتران بكلمة (ليس)، كما في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَبْجَعَ عِظَامَهُ^(٦)﴾ بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ^(٦) .

فهذا الاستفهام يقف القارئ عنده ويتدبره، ثم يجيب الله تعالى بذلك اللفظ: (سبحانك فبلى) إنه تنزيه وإجابة على السؤال، قياساً على ما سبق من الرواية، واقتباساً مما ورد في الآية، مما يجعل القارئ متبهاً لمعاني الآيات ومقاصدها، فيبقى ذهنه متعلقاً بالقرآن، ويكون مستجيباً لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ^(٧)﴾ ، وهكذا في كثير من الآيات التي تبدأ بقوله: ﴿أَفَلَا﴾ ،

(١) سورة يس، الآية: ٨١.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٧.

(٤) سورة التين، الآية: ٨.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٥٣.

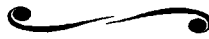
(٦) سورة القيامة، الأيتان: ٣-٤.

(٧) سورة الأنفال، آية: ٢٤ .

ومنها: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾^(١)
إذ ورد بعدها التسييح في الآية التي تليها، فينبغي أن نشكره على نعمه.

وقد كان سفيان الثوري يعمل بمثل هذا التدبر، فقد روى ابن أبي الدنيا عنه أنه كان يقرأ قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾^(٢)، ثم يقول: «بلى يا رب»، ويتحب، وينظر إلى سقف البيت ودموعه تسيل....^(٣)

وهذا الجواب هو مستنبط من الآية نفسها؛ لأن تمامها: ﴿بَلَىٰ
وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾، أما نظره إلى السقف، فقد أخذه من سنة
المصطفى ﷺ كما في فصل كيفية التفكير في خلق السموات والأرض.



(١) سورة يس، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٠.

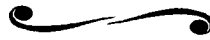
(٣) الرقة والبكاء، ص ٢٢٧.

التدبر بالإجابة عن السؤال

لقد علمنا الله تعالى كيف نتدبر في الآيات التي أورد فيها السؤالات، كما في قوله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(١)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾^(٢).

فقد ذكر السؤال في هاتين الآيتين، ثم علمنا الجواب، وقد وردت آيات كثيرة فيها السؤال بدون جواب، فمن التدبر أن نجيب عن هذا السؤال، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣)، الجواب: (الله سبحانه وتعالى)، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٦) فالجواب كله: (الله سبحانه وتعالى).

وبهذا نكون قد حققنا شيئاً من الاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ.



(١) سورة غافر، الآية: ١٦.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٦٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ٨٧.

(٦) سورة يونس، الآية: ٣١.

النظر في المصحف يساعد على التأمل والتفكير

إن النظر في المصحف والتأمل فيه يحبه الله تعالى؛ لما فيه من الإعانة على التدبر؛ لأنه أمكن من التلاوة عن ظهر قلب، وكذلك فإننا سنسأل عن النظر أين صرفناه: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(١)، فإذا كان البصر قد أخذ نصيبه من المصحف، فلا شك أنه سيثاب على ذلك، وعلى عكس ذلك، إذا كان النظر يخلق فيما يغضب الله تعالى فإنه سيعاقب على ذلك. ومن فوائد النظر في المصحف، لعل الناظر فيه يتورع من التحليق فيما ينهى الله عنه.

ولا شك أن النظر في المصحف والقراءة منه، تمكن القارئ من التدبر أكثر من القارئ الذي يقرأ من حفظه، إذ يصب جهد ذهنه إلى التذكر بالألفاظ، وضبط النص القرآني، حتى لا ينساه، أما الذي يقرأ من المصحف، فإن التأمل فيه أوسع، والتفكير فيه أخشع، وقد أوصانا الصحابي المقرئ المفسر الذي أخذ من في النبي ﷺ سبعين سورة عبدالله ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: «أدبوا النظر في المصحف»^(٢).

لقد عقد الإمام البخاري في صحيحه باباً بعنوان: (القراءة عن ظهر قلب)، وذلك تحت كتاب (فضائل القرآن)، ونقل ذلك الحافظ ابن كثير ثم

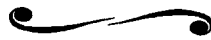
(١) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(٢) أخرجه عبدالرازق، المصنف، ٣/ ٣٦٢، والفريابي، فضائل القرآن، ص ٢٢٩، كلاهما من طريق سفيان، عن عاصم، عن زر، عنه، وسنده حسن.

قال: وهذه الترجمة من البخاري - رحمه الله - مشعرة بأن قراءة القرآن من المصحف، وهو عبادة، كما صرح به غير واحد من السلف، وكرهوا أن يمضي على الرجل يوم لا ينظر في مصحفه... ثم ذكر رواية ابن مسعود السابقة، ونقل عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبدالرحمن ابن أبي ليلى، عن ابن مسعود: «أنه كان إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف فقرأوا وفسر لهم» إسناده صحيح.

وقد ذكر الحافظ ابن كثير الخلاف بين العلماء في أيهما أفضل: القراءة عن ظهر قلب، أم من المصحف؟ ثم نقل عن بعض العلماء، أن المدار في هذه المسألة على الخشوع في القراءة، فإن كان الخشوع عند القراءة على ظهر قلب، فهو أفضل، وإن كان عند النظر في المصحف، فهو أفضل، فإن استويا، فالقراءة نظر أولى؛ لأنها أثبت، وتمتاز بالنظر في المصحف، قال الشيخ أبو زكريا النووي - رحمه الله - في التبيان: «والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل»^(١).

ومن أهمية النظر في المصحف وحتى لا يحرم المؤمن من بركات ذلك النظر، فإنه يجوز للجنب والحائض والنفساء النظر في المصحف، وإمراره على القلب، لكن قراءة القرآن عليهم حرام^(٢).



(١) فضائل القرآن، ص ١٠٨-١١٠، وانظر: التبيان، في آداب حملة القرآن، ص ٥٣، والأذكار، ص ٩٠-٩١.

(٢) انظر: الأذكار، ص ٨.

الامتثال للأوامر القولية

لقد وردت آيات كثيرة فيها الأمر ببعض الأذكار، والآيات بلفظ: ﴿قُلْ﴾ ، أو : ﴿قُولُوا﴾ .

ولقد امتثل بها النبي ﷺ ، كما في قوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿٢١﴾﴾ ^(١) ، فكان النبي ﷺ يذكر ذلك عند الركوب، وعند السفر.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ ^(٢) ، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٢٣﴾﴾ ^(٣) ، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ ^(٤) ، وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ﴿٢٥﴾﴾ ^(٥) ، وغيرها من الآيات... ومن البدهي أن النبي ﷺ قد امتثل بجميع هذه الأمور.

(١) سورة الزخرف، الآيتان: ١٣-١٤.

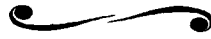
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٧.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١١٨.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٦٣.

فكل الآيات التي فيها الأمر للمؤمنين بلفظ: ﴿قُلْ﴾ ، ونظائره، ينبغي الامتثال لذلك الأمر، وقد كان الصحابة يمتثلون لذلك، كابن مسعود - رضي الله عنه - كان يدعو بقوله: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ، فهو امتثال لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١) ، ولقد استجاب الله تعالى له، فكان من كبار فقهاء الصحابة، وهو الذي أقسم بأنه ما من آية إلا ويعلم أين نزلت، ومتى نزلت، وفيمن نزلت، وهذا غاية العلم في التنزيل.



(١) سورة طه، آية: ١١٤ .

التدبر بالاستجابة إلى الأوامر القولية والفعلية

لقد أمر الله تعالى بالاستغفار والتوبة من الذنوب لأنفسنا وللمؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(١)، ولهذا كان يستغفر النبي ﷺ لنفسه وللمؤمنين، وكذلك كان يفعل الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كقول نوح - عليه الصلاة والسلام - : ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾^(٢).

وكقول إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - : ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾^(٣)، وأحياناً يأتي الأمر بأسلوب آخر، إذ يذكر أن بعض الأدعية من صفات المؤمنين، ومنها في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٤)، ولكي نتصف بهذه الصفة العظيمة بما فيها من الابتهال إلى الله تعالى، أن نلهج بهذا الدعاء: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٥) نسأل الله تعالى أن يتقبل ذلك: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٦)،

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) سورة نوح، الآية: ٢٨.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٤١.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٢٧.

وبهذا نكون قد وقفنا عند هذه الآية ثم نستأنف الآية التي فيها الثواب:
﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾^(١).

ففي هذا الدعاء بركات الدنيا والآخرة.

كما أمرنا الله تعالى كثيراً بإقامة الصلاة، وذكر لنا دعاء إبراهيم -
عليه الصلاة والسلام - في قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي
رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾^(٢).

وكذلك ذكر الله تعالى دعاء إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - :
﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٣) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(٤).

ثم أرشدنا سبحانه وتعالى بأن ندعو بمثل هذا الدعاء المبارك، وذلك
في الآية التي تلي هذا الدعاء، في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾^(٤)، وذلك حتى نتأسى بهم،
ونسير على دربهم إلى الجنة برحمته، وبفضله سبحانه وتعالى.

كما أمرنا الله تعالى بأن نلهج بالتحميد والتكبير، إذ قال تعالى:
﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٥.

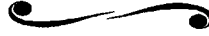
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الممتحنة، الآيتان: ٤-٥.

(٤) سورة الممتحنة، الآية: ٦.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١﴾ ، وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا
الْمُدَّثِّرُ ﴿٢﴾ فَمَقْنَدِرٌ ﴿٣﴾ وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ ﴿٤﴾ ۝

وكلمة: (الله أكبر) تفيد: إثبات عظمة الله تعالى ^(٣).



(١) سورة الإسراء، الآية: ١١١.

(٢) سورة المدثر، الآيات: ١-٣.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ١٠/٢٥٣.

فوائد التدبر

إن التأمل في الآيات التي تذكر أفعاله سبحانه وتعالى، ودقة تدبيره سبحانه وتعالى في الرزق والرعاية، تجعل المؤمن يعرف عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وأن الآيات الكونية في خلق السموات والأرض وما فيها، تبهر العقول مهما كان مستواها الثقافي، فحينما يذكر الله تعالى خلق السموات وما فيها من زينة الكواكب، فإن المتأمل حتى لو كان من العوام أو من البادية، فإنه يدرك عظمة هذه المخلوقات التي يهتدي بكواكبها، يتطلع إلى سحبها منتظراً الرزق من الخالق، فهو يتابع حركة السحب، واتجاه الرياح التي تسوق السحب بأمر الله تعالى، فيعلم أن الرب سبحانه وتعالى هو الذي يسخر هذه النعم، وهكذا المؤمن المثقف، كلما زادت ثقافته في هذه المخلوقات، فإنه يزداد يقيناً وإيماناً بعظمة الخالق سبحانه وتعالى، فالفلكي له تعجب من هذه المخلوقات، والفيزيائي له نظرات أخرى، والفضائي له تأملات مختلفة، والكل يسبح بحمده على عظمته وتدبيره لهذا الكون العظيم، ويستنبط العلوم النافعة، والتجارب الراقية، والأسرار الخفية.

وقال الشيخ السعدي - رحمه الله - عند قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١) «وأنزله بهذا اللسان لنعقله ونفهمه، وأمرنا بتدبره، والتفكر فيه، والاستنباط لعلومه، وما ذاك إلا لأن

(١) سورة يوسف، آية: ٢.

تدبره مفتاح كل خير، محصل للعلوم والأسرار»^(١).

والقراءة بتأمل وتدبر وتأثر قولاً وعملاً ترتقي بالمؤمن إلى مراتب عالية من العبادة، فهو يرتل كلام الله، ويتأمل ويتفكر فيه، ويدعو الله تعالى بعدة أدعية، فبلغ إلى مخ العبادة، وهو كذلك يستجيب لأوامره، وينزجر عن نواهيه، فمن حظي بهذا فقد أفلح فيما يحبه الله تعالى من قول أو عمل، ويصل إلى مرتبة محبة الله تعالى، وهي سنام العبادة، وقد سرد العلامة ابن قيم جملة من الأسباب لمحبة الله تعالى، ومنها ما يلي:

- ١- قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.
- ٢- مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها.
- ٣- مشاهدة برّه وإحسانه، ونعمه الظاهرة والباطنة.
- ٤- انكسار القلب بين يديه.
- ٥- الخلوة وقت النزول الإلهي، وتلاوة كتابه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.
- ٦- مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.
- ٧- التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض^(٢).

(١) مقدمة تفسير السعدي، ص ٤.

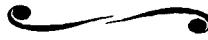
(٢) انظر: مدارج السالكين، ٣/ ١٧-١٨.

وهذا السبب الأخير يتحقق بكثرة القراءة والتأمل، والاستجابة بالقول والعمل، ويؤدي إلى منزلة عالية من العون الرباني، فقد ثبت عن النبي ﷺ في الحديث القدسي قوله: «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه...»^(١)، فماذا بعد هذا الوعد والعون؟

وقال ابن قيم أيضاً: «إن معاني القرآن دائرة على التوحيد وبراهينه، والعلم بالله وما له من أوصاف الكمال، وما ينزه عنه من سمات النقص، وعلى الإيمان بالرسول، وذكر براهين صدقهم، وأدلة صحة نبوتهم، والتعريف بحقوقهم، وحقوق مرسلهم، وعلى الإيمان بملائكته، وهم رسله في خلقه وأمره، وتدبيرهم الأمور بإذنه ومشئته، وما جعلوا عليه من أمر العالم العلوي والسفلي، وما يختص بالنوع الإنساني منهم، من حين يستقر في رحم أمه إلى يوم يوافي ربه ويقدم عليه، وعلى الإيمان باليوم الآخر، وما أعد الله فيه لأولائه من دار النعيم المطلق، والتي لا يشعرون فيها بألم ولا نكد وتنغيص، وما أعد لأعدائه من دار العقاب الوبيل، التي لا يخالطها سرور ولا رخاء، ولا راحة ولا فرح، تفاصيل ذلك أتم تفصيل وأبينه، وعلى تفاصيل الأمر والنهي، والشرع والقدر، والحلال والحرام، والمواظب والعبر، والقصص والأمثال، والأسباب والحكم، والمبادئ والغايات، في

(١) صحيح البخاري، الرقاق، باب (التواضع)، ح ٦٥٠٢.

خلقه وأمره، فلا تزال معانيه تنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتحثه على التضرع والتخفف للقاء اليوم الثقيل، وتهديه في ظلم الآراء، والمذاهب إلى سواء السبيل، وتصده عن اقتحام طرق البدع والأضاليل، وتبعثه على الازدياد من النعم، بشكر ربه الجليل، وتبصّره بحدود الحلال والحرام، وتوقفه عليها؛ لئلا يتعدها، فيقع في العناء الطويل، وتثبت قلبه عن الزيغ، والميل عن الحق والتحويل، وتسهل عليه الأمور الصعاب والعقبات الشاقة غاية التسهيل، وتناديه كلما فترت عزماته وونى في سيره، تقدم الركب، وفاتك الدليل، فاللحاق اللحاق، والرحيل الرحيل، وتحذو به، وتسير أمامه سير الدليل، وكلما خرج عليه كمين من كمائن العدو، أو قاطع من قطاع الطريق نادته، الحذر! الحذر! فاعتصم بالله، واستعن به، وقل: حسبي الله ونعم الوكيل. وفي تأمل القرآن وتدبره وتفهمه أضعاف أضعاف ما ذكرنا من الحكم والفوائد»^(١).



(١) مدارج السالكين، ١/ ٤٥٢-٤٥٣.

التدبر بالقصص

إن القصص القرآني من أرقى وأحسن القصص، قال الله تعالى:
﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾^(١).

إن العبرة في قصص الأولين، وأخذ الموعدة منها، تعطي الخبرة الواعية في الدعوة إلى الله تعالى، وتعطي الدروس المستفادة منها في أهمية العقيدة، وفضل الصبر، وبركات الإيمان بالله تعالى، وتكشف مخططات الشيطان وأتباعه، فمتى ما وقع العبد في خمصة وفي ابتلاء فإنه يتذكر قصص الحن والشدائد فتخف وطأة المصيبة وكذلك تدبر القصص القرآني تبرز عناية الله تعالى بالمؤمنين ورعايتهم، وتبين لنا صراع الحق مع الباطل منذ أن خلق الله تعالى آدم - عليه الصلاة والسلام - إلى زماننا، بل إلى أن تقوم الساعة، وإن قصص أولئك المؤمنين والصابرين لترقق القلوب، مما يساعد المؤمن على الاستجابة للأوامر، والازدجار عن النواهي، وتجعله يزداد في حب الله تعالى، والتوكل عليه، والخوف منه، وحمده، وشكره في السراء، والصبر على الضراء، فيكون بذلك قد حقق العبادة لله تعالى.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: «وأما التأمل في القرآن: فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر، قال الله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ

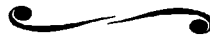
(١) سورة يوسف، آية: ٢.

لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾^(١) ، وقال الحسن: «نزل القرآن ليتدبر، ويعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً، فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته، من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته»، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بجذافيرها، وعلى طرقاتهما، وأسبابهما، وغاياتهما، وثمراتهما، ومآل أهلها، وتتل في يده^(٢) مفاتيح كنوز السعادة، والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشديد بنيانه، وتوطد أركانه، وترية صورة الدنيا والآخرة، والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وترية أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرفه ذاته، وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكه بعد الوصول والقدم عليه، وقواطع الطريق وآفاتهما، وتعرفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم، وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق، واجتماعهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقهم فيما يفترقون فيه، وبالجمل: تعرفه الرب المدعو إليه، وطريق الوصول إليه، وما من الكرامة إذا قدم عليه، وتعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة

(١) سورة ص، آية: ٢٩ .

(٢) تل الشيء في يده، بالمشاة الفوقية المفتوحة، وضمه فيها.

والعذاب بعد الوصول إليه، فهذه ستة أمور ضروري للعبد معرفتها، ومشاهدتها، ومطالعتها، فتشاهده الآخرة، حتى كأنه فيها، وتغيبه عن الدنيا، حتى كأنه ليس فيها... وتميز له بين الحق والباطل في كل ما اختلفت فيه العالم، فترى الحق حقاً، والباطل باطلاً، وتعطيه فرقاناً ونوراً يفرق به بين الهدى والضلال، والغى والرشاد، وتعطيه قوة في قلبه، وحياء، وسعة، وانسراحاً، وبهجة، وسروراً، فيصير في شأن، والناس في شأن آخر....»^(١).



(١) مدارج السالكين، ١/ ٤٥١-٤٥٢.

ماذا نقول في سجود التلاوة؟

من التدبر في السجود: أن نسبح بحمده، كما علمنا الله تعالى، إذ قال في بضع صفات المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿١﴾ ، ثم ذكر بعده هذه الآية من صفاتهم: الدعاء والإنفاق، ثم ذكر الجزاء الأعظم في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ .

وفي ذلك جواب لسؤال يتكرر عند كثير من المسلمين: ماذا نقول عند سجود التلاوة؟

فمن الأجوبة ما ورد في القرآن الحكيم من التسبيح والتحميد.

وكذلك ذكر الله تعالى من صفات المؤمنين: أنهم لم يسجدوا كالصم، بل يلهجون بالتسبيح والتحميد، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ ﴿٣﴾ .

إن هذا التدبر يزيد المؤمن خشوعاً في تلاوته، ومما يؤكد أن التسبيح في سجود التلاوة يزيد الخشوع: ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ

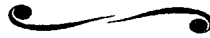
(١) سورة السجدة، الآية: ١٥.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٧٣.

لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا
تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ
سُجَّدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ
لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٩﴾ ﴿١﴾

وفي هذه الآيات بيان لأهمية التسييح والتحميد عند سجود التلاوة،
وكيف يرتقي بالعبادة المؤثرة الخاشعة.



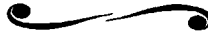
(١) سورة الإسراء، الآيات: ١٠٦-١٠٩.

التدبر بالأمثال

قال العز بن عبد السلام - ت ٦٦٠ هـ - في كتابه القيم (الإمام في أدلة الأحكام): «إنما ضرب الله الأمثال في كتابه، تذكيراً ووعظاً، فما اشتمل منها على تفاوت في ثواب، أو على إحباط عمل، أو على مدح، أو ذم، أو نحوه، فإنه يدل على الأحكام»^(١) . هـ.

فيجب على قارئ القرآن أو سامعه، أن يقف وقفة تأمل وتفكر بالأمثال العظيمة الغزيرة التي وردت في القرآن الكريم، التي جاءت في غاية الفصاحة والبيان، حافلة بالفوائد التي يحتاجها المسلم في دينه ودنياه.

وقال الزركشي: «وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقدير، وترتيب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس، بحيث تكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس»^(٢) .



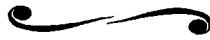
(١) انظر: الإكليل في استنباط التنزيل، للسيوطي، ص ١٢.

(٢) البرهان، ١/٤٨٦-٤٨٧.

التدبر بالعرض للقرآن كل عام

وقد صح عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ كان يعرض على جبريل القرآن كل عام مرة في شهر رمضان، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، فحضر ابن مسعود - رضي الله عنه - فعلم ما نسخ من ذلك وما بُدِّل^(١).

وعلم الناسخ والمنسوخ أساس في معرفة التفسير، وأحكام القرآن. ومن الذين عرضوا القرآن على الرسول ﷺ: أبي بن كعب - رضي الله عنه - صرح بذلك الذهبي^(٢)، وأبي ميمون بن عبد الله بن ميمون في علم التفسير من الصحابة، وهو سيد القراء أيضاً.



(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى، ٣٤٢/٢، وأحمد في المسند، ١٤١/٥-١٤٢، وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح، ٤٥/٩.

(٢) في كتاب القراء الكبار، ٢٨/١.

بداية القراءة بالتدبر

لقد علمنا الله تعالى أن نبدأ قراءتنا بالاستعاذة، إذ قال العليم الحكيم: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(١)، ومن صيغ الاستعاذة: ما ورد من القرآن العظيم في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾^(٢) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ^(٣) .

والاستعاذة تذهب الشيطان ووساوسه، فقد أخرج مسلم بسنده عن عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه أتى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، يلبسها عليّ»، فقال له رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يقال له: خِنْزَبٌ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً»، قال: «ففعلت، فأذهب الله عني»^(٣).

وفي هذا الأمر: اللجوء إلى الرحمن الرحيم من وسوسة الشيطان الرجيم، الذي ينزغ ويوسوس ويشغل المؤمن عن الخير، وبذلك يشغل الفكر بالتدبر، ثم بعد هذه الاستعاذة نقرأ البسملة، والاستعاذة ليست بآية، أما البسملة فهي جزء من آية، وفيها الابتداء بذكر الله تعالى، أي (أبدأ قراءتي بذكر اسم الله تعالى الذي من صفاته الرحمن الرحيم)، إذ فيها ذكر

(١) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٢) سورة المؤمنین، الآيتان: ٩٧-٩٨.

(٣) الصحيح، السلام، باب (التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة)، ٤/ ١٧٢٨، ح ٢٢٠٣.

الرحمن، فنسأل الله تعالى الرحمة: (رب اغفر وارحم وأنت أرحم الراحمين)، أو نسأله الجنة، كتدبر النبي ﷺ، ومن أنواع سؤاله الجنة: (اللهم إني أسألك الفردوس الأعلى)، أو (أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل).

وحينما يتأمل المؤمن رحمة الله تعالى في القرآن، ويتفكر فيها، يجد أنها قد وسعت كل شيء، قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١)، بل هي قريبة من الذين أحسنوا قولاً وعملاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

ولقد أكد النبي ﷺ على سعة رحمة الله تعالى، فقال: «إن لله مائة رحمة، أنزل رحمة واحدة بين الجن والأنس، والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحوش على ولدها، وأخر تسعاً وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة»^(٣).

وكل هذا يمهّد النفس للتعامل مع كلام الله عز وجل بالقراءة، بأنها ستبدأ بقراءة أمر عظيم، ذي افتتاح خاص، ثم تبدأ بتلاوة الآيات تدبراً، والتدبر في مطلع السورة هو بداية التفكير والتأمل، ثم الاستجابة والذكر.

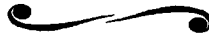
(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

(٣) صحيح البخاري، الأدب، باب (جعل الله الرحمة في مائة جزء)، ح ٦٠٠٠، وصحيح مسلم، التوبة، باب (سعة رحمة الله)، ح ٢٧٥١.

وبعد البسملة وقبل الابتداء بالسورة يتذكر القارئ اسم السورة، فيعلم أن السورة لها علائق ووشائج في موضوع اسم السورة، ففيه تمهيد للدخول في إحدى قضايا هذه السورة.

اقرأ سورة بما سبق من التدبر والتأمل ستري غير الذي سبق في القراءة المتقدمة، وهكذا كلما أعدنا التأمل: زادنا الله تعالى نوراً وهدى، وشرح الصدور للفهم والعمل، حتى لو أشكلت بعض الآيات، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية الأثر المعروف - هكذا وصفه - عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: «يقرأ القرآن رجلاً، فرجل له فيه هوى، ورجل يقرأه ليس فيه هوى... فما تبين له منه، عمل به، وما اشتبه عليه، وكله إلى الله، ليتفقهن فيه فقهاً ما فقهه قوم قط، حتى لو أن أحدهم مكث عشرين سنة، فليبعثن الله له من يبين الآية التي أشكلت، أو يفهمه إياها من قبل نفسه»^(١).



(١) مجموع الفتاوى، ١٧/٣٩٤.

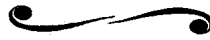
تدبر أحكام القرآن

ومن أهم أهداف التدبر معرفة أحكام القرآن الكريم لبيان الحلال والحرام وذلك عن طريق الأوامر والنواهي، فما كان من حلال فقد أباح لنا وما كان حراماً اجتنبناه، وقد وردت أساليب كثيرة تتضمن أحكام القرآن الكريم، وقد حاول استيعابها وعرضها سلطان العلماء العز بن عبدالسلام - رحمه الله - في كتابه القيم «الإمام في أدلة الأحكام» فقال: ويستدل على الأحكام تارة بالصيغة وهو ظاهر وتارة بالإخبار مثل ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ وتارة بما رتب عليها في العاجل أو الآجل من خير أو شر أو نفع أو ضرر، وقد نوع الشارع ذلك أنواعاً كثيرة ترغيباً للعباد وترهيباً وتقريباً إلى أفهامهم، فكل فعل عظمه الشرع أو مدحه أو مدح فاعله، أو أحبه أو أحب فاعله، أو رضى به أو رضى عن فاعله، أو وصفه بالاستقامة أو البركة أو الطيب، أو أقسم به أو بفاعله كالأقسام بالشفع والوتر وبخيل المجاهدين وبالنفس اللوامة، أو نصبه سبباً لذكره لعبده أو لمحبه أو للثواب عاجلاً أو آجلاً، أو لشكره له أو لهدايته إياه أو لإرضاء فاعله أو لمغفرة ذنبه وتكفير سيئاته، أو لقبوله أو لنصرة فاعله، أو بشارته أو وصف فاعله بالطيب، أو وصف الفعل بكونه معروفاً، أو نفي الحزن أو الخوف عن فاعله، أو وعده بالأمن، أو نصبه سبباً لولايته، أو أخبر عن دعاء الرسول بحصوله، أو وصفه بكونه قرابة أو بصفة مدح كالحياة والنور والشفاء فهو دليل على مشروعيته

المشتركة بين الوجوب والندب، وكل فعل طلب الشارع تركه أو ذمه أو ذم فاعله أو عتب عليه أو مقت فاعله أو لعنه أو نفى محبته أو محبة فاعله أو الرضا به أو الرضا عن فاعله، أو شبه فاعله بالبهايم أو بالشياطين، أو جعله مانعاً من الهدى أو من القبول، أو وصفه بسوء أو كراهة، أو استعاذ الأنبياء منه أو أبغضوه، أو جعله سبباً لنفي الفلاح أو لعذاب آجل أو عاجل أو لدم أو لوم، أو ضلالة أو معصية، أو وصف بنجث أو رجس أو نجس، أو بكونه فسقاً أو إثماً أو سبباً لإثم أو رجس أو لعن أو غضب، أو زوال نعمة أو حلول نقمة، أو حد من الحدود أو قسوة أو خزي أو ارتهان نفس، أو لعداوة الله ومحاربه أو لاستهزائه أو سخريته، أو جعله الله سبباً لنسيانه فاعله، أو وصف نفسه بالصبر عليه أو بالحلم أو بالصفح عنه، أو دعا إلى التوبة منه أو وصف فاعله بنجث أو احتقار أو نسبه إلى عمل الشيطان، أو تزيينه أو تولي الشيطان لفاعله، أو وصف بصفة ذم ككونه ظلماً أو بغياً، أو عدواناً، أو إثماً أو مرضاً، أو تبرأ الأنبياء منه أو من فاعله، أو شكوا إلى الله من فعله، أو جاهروا فاعله بالعداوة، أو نهوا عن الأسى والحزن عليه، أو نصب سبباً لخية فاعله عاجلاً أو آجلاً، أو رتب عليه حرمان الجنة وما فيها، أو وصف فاعله بأنه عدو الله، أو بأن الله عدوه، أو أعلم فاعله بحرب من الله ورسوله، أو حمل فاعله إثم غيره، أو قيل فيه لا ينبغي هذا أو لا يكون، أو أمر بالتقوى عند السؤال عنه، أو أمر بفعل مضاده، أو بهجر فاعله، أو تلاعن فاعلوه في الآخرة، أو تبرأ بعضهم

من بعض، أو دعا بعضهم على بعض، أو وصف فاعله بالضلالة، أو أنه ليس من الله شيء أو ليس من الرسول وأصحابه، أو جعل اجتنابه سبباً للفلاح أو جعله سبباً لإيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين، أو قيل هل أنت منته؟ أو نهى الأنبياء عن الدعاء لفاعله، أو رتب عليه إبعاداً أو طرداً أو لفظة: قتل من فعله، أو قاتله الله، أو أخبر أن فاعله لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكيه ولا يصلح عمله ولا يهدي كيده أو لا يفلح، أو قيض له الشيطان، أو جعل سبباً لإزاغة قلب فاعله، أو صرفه عن آيات الله وسؤاله عن علة الفعل، فهو دليل المنع من الفعل ودلالته على التحريم أظهر من دلالاته على مجرد الكراهة.

وتستفاد الإباحة من لفظ الإحلال، ونفي الجناح، والحرام، والإثم، والمؤاخذه، ومن الإذن فيه والعفو عنه، ومن الامتنان بما في الأعيان من المنافع، ومن السكوت عن التحريم، ومن الإنكار على من حرم الشيء، ومن الإخبار بأنه خلق أو جعل لنا، والإخبار عن فعل من قبلنا غير ذام لهم عليه، فإن اقترن بالإخبار مدح دلّ على مشروعيته وجوباً أو استحباباً^(١).

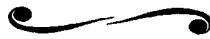


(١) انظر: الإكليل في استنباط التنزيل، ص ١٢-١٣، وانظر: بدائع الفوائد، ٤/ ٢-١٠، وتفسير السعدي، ص ٨-٩.

الاستفادة من التأمين في آيات الدعاء

إن لفظ (أمين) بعد سورة الفاتحة معناه استجب وهي ليست من القرآن الكريم، وقد جاء ذكرها بعد الدعاء ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ويمكن الاستفادة منها في الآيات التي فيها دعاء لله تعالى، بأن يقال بعد تلك الآيات فهي نظير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ وبذلك نكون قد استفدنا منها قياساً واقتباساً وأسوة وقدوة بإبراهيم وإسماعيل ومن تابعهم من الأنبياء - عليهم صلوات الله وسلامه - .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الفهرس

المقدمة	٥
التدبر بالقراءة المفسرة	١١
الترجيع في القراءة	١٦
التدبر لمقاصد الآيات وإيراد ما يناسبها من أذكار	٢١
تدبر الجن	٣٢
كيفية التفكير في خلق السموات والأرض	٣٤
تدبر النبي ﷺ بالتسييح	٣٧
التدبر بالشكر	٤٠
كيف يتم القبول عند الله تعالى ؟	٤٤
التدرج بالتلاوة لتحقيق التدبر	٤٧
الفهم والتدبر هو الغاية من التلاوة	٤٨
التدبر بفهم معاني القرآن	٥٣
التدبر ببيان القرآن بالقرآن	٥٦
التدبر بأذكار القرآن الكريم	٥٩
كيف يتم التدبر والتأثر بالقرآن ؟	٦٣
البكاء من التأثر بسماع القرآن الكريم	٦٦
لماذا عدم التأثر ؟	٦٩
التدبر عند الآيات التي فيها استفهام	٧١
التدبر بالإجابة عن السؤال	٧٧

- ٧٨..... النظر في المصحف يساعد على التأمل والتفكير
- ٨٠..... الامتثال للأوامر القولية.....
- ٨٢..... التدبر بالاستجابة إلى الأوامر القولية والفعلية.....
- ٨٥..... فوائد التدبر.....
- ٨٩..... التدبر بالقصص.....
- ٩٢..... ماذا نقول في سجود التلاوة ؟.....
- ٩٤..... التدبر بالأمثال.....
- ٩٥..... التدبر بالعرض للقرآن كل عام.....
- ٩٦..... بداية القراءة بالتدبر.....
- ٩٩..... تدبر أحكام القرآن.....
- ١٠٢..... الاستفادة من التأمين في آيات الدعاء.....
- ١٠٣..... الفهرس.....

